

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -

قسم اللغة العربية وآدابها



كلية الآداب واللغات

مذكرة بعنوان:

استراتيجية الحاج في خطب البشير الإبراهيمي

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربيّ

تخصّص: علوم اللسان

إشراف الأستاذ:

أ. محمد صغير

إعداد الطالبتين:

أمنية محداب.

سميرة خليفي.

أعضاء لجنة المناقشة:

- د/ بولفعة خليفة

- أ/ محمد صغير

- أ/ راشد شقوفي

رئيساً.

جامعة جيجل

مشرفاً ومقرراً.

جامعة جيجل

عضواً مناقشاً.

جامعة جيجل

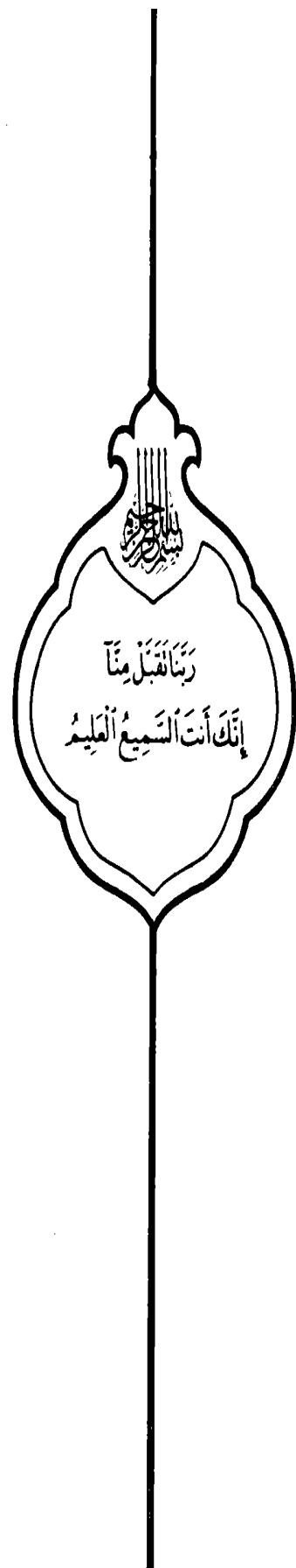
السنة الجامعية: 2015/2014

1435هـ / 1436هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

لقد كثر الحديث عن الحجاج، ومقارنته لمختلف الخطابات العلمية، والإنسانية، والثقافية. وقد ازدهرت الدراسات الحجاجية في الآونة الأخيرة خاصةً بالمغرب العربي، وأخذت تستشرف آفاقاً جديدة بفضل نفرٍ من الدارسين الطليعيين، حيث غدت المؤتمرات تُعقد لبحث إشكالات الحجاج، والبحوث تُؤلف في رصد قضاياها.

ويُعدّ الحجاج من أهمّ النظريات التي تهتمّ التداولية بها، إلى جانب نظرية التلّفظ، وأفعال الكلام. والحجّاج يركّز أساساً على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير بما يعتقده المتلقي، وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله له؛ فالخطاب الحجاجي أكثر الخطابات اللغوية التصاقاً بالجمهور؛ لأنه خطابٌ ينشُد الاستمالة والتأثير في المتلقي قصد الانخراط أو الفعل، وذلكم هو جوهر الخطابة؛ إذ يسعى الخطيب إلى التأثير في المتلقي، إما بدفعه لتبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين، وإما لتدعيم موقفه، وإما لتغيير رأيه كي يبيّن موقفاً جديداً.

وطموح هذه الدراسة لا يُجاوز فحص الوظيفة الحجاجية في خطب محمدٍ البشير الإبراهيمي، وذلك بتحديد دور الحجج وتقويمها، ومدى قدرتها على إحراز الإقناع، وتوضيح مدى تجانس الحجج بعضها ببعض؛ أي البحث في العلاقات القائمة بين المقدمات والنائج. مع التمهيد لبعض المعطيات النظرية التي قاربت مبحث الحجّاج ونظريّاته.

من أجل ذلك، وسَمْنَا هذه الدراسة بـ: "استراتيجيات الحجّاج في خطب محمد البشير الإبراهيمي"، بالتركيز على أوّل خطبة جمعة له بعد الاستقلال بمسجد كتشاوة في 02 نوفمبر 1962م.

وقد حدّانا إلى هذا البحث ما تنطوي عليه النفس من غاية الإعجاب والإجلال لرجلٍ عظيمٍ بعقله ولسانه، وبقلبه ووجدانه، وغير ذلك من موجبات الإعجاب. هو البشير الإبراهيمي أهمّ خطباء الجزائر، وأملكهم للحجّة. أضف إلى ذلك ما لئنك الخطبة من أهمية خاصة؛ باعتبارها أوّل خطبة جمعة بعد استقلال الجزائر، ثم لأنّ

مسجدَ كَتَشَاوَة أَفْتِخَ بِهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَرَجَعَ كَمَا كَانَ مَسْجِدًا، بَعْدَ أَنْ حَوَّلَهُ الِاسْتِعْمَارُ إِلَى كَتَدْرَائِيَّةٍ. وَقَدْ أَلْقَى الْإِبْرَاهِيمِي هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْمَشْهُودَةَ بِحُضُورِ وَفُودٍ مِنْ جَمِيعِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

لَقَدْ أَرَدْنَا بِذَلِكَ اسْتِنطَاقَ الْخُطْبَةِ حِجَاجِيًّا؛ لِنَكْشِفَ الْآلِيَّاتِ الْحِجَاجِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِمُحَمَّدِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ، وَنَتَبَيَّنَ قُوَّةَ الْكَلِمَاتِ وَالْعِبَارَاتِ فِي تَوْجِيهِ الْمَخَاطَبِ، وَنَبْحَثَ فِي الْقَوَاعِدِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْبَلَاغِيَّةِ الْحِجَاجِيَّةِ الَّتِي انْتَضَمَتْ خُطْبَةُ الْاسْتِقْلَالِ، وَحَكَمَتْ بِنَاءَهَا، مَعَ التَّعْرِيفِ بِأَهَمِّ النَّظَرِيَّاتِ الْحِجَاجِيَّةِ الْغَرِيبَةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي اهْتَمَّتْ بِمَجَالَاتٍ ثَلَاثَةٍ: الْمَنْطِقِ، وَالْبَلَاغَةِ، وَاللِّسَانِيَّاتِ.

وَالْحَقُّ أَنَّنَا أَرَدْنَا، أَيْضًا، أَنْ نَلْفِتَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى جُذُورِ الدَّرْسِ الْحِجَاجِيِّ فِي التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، خَاصَّةً فِي الْبَلَاغَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ. كَمَا هَدَفْنَا إِلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ أَهَمِّ رُؤَادِ الدَّرَاسَاتِ الْحِجَاجِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَبِخَاصَّةٍ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ. وَهَذِهِ الدَّرَاسَةُ تَبْتَغِي الْإِجَابَةَ عَمَّا يَلِي:

— مَا مَدَى حُضُورِ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ لُغَوِيًّا وَدَلَالِيًّا، وَمَاهِي مَتَضَمَّنَاتِ الْقَوْلِ التَّأْثِيرِيِّ فِي خُطْبَةِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ؟ وَفِيمَ تَتَمَثَّلُ الْآلِيَّاتُ الْحِجَاجِيَّةُ الَّتِي اعْتَمَدَهَا لِتَحْقِيقِ الْإِقْنَاعِ، وَالظَّفَرُ بِالنَّتِيْجَةِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا؟ وَهَلْ تَتَوَافَقُ الْأَشْكَالُ الْبَلَاغِيَّةُ الَّتِي وَظَّفَهَا مَعَ آيَاتِ الْبَلَاغَةِ الْجَدِيدَةِ؟

وَلَكِي تُحَصَّلَ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ مَأْمُولَهَا، وَتُدْرَكَ غَايَتُهَا اسْتِعْنًا بِالْمَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ، وَالْمَنْهَجِ الْوَصْفِيِّ، أَمَّا الْمَنْهَجُ التَّارِيخِيُّ، فَقَدْ رَصَدْنَا مِنْ خِلَالِهِ نَمُوَّ فِكْرَةِ الْحِجَاجِ، وَتَبَعْنَا مَسِيرَةَ دَرْسِهِ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، مَعَ عَرْضِ لَأَهَمِّ نَظَرِيَّاتِهِ. وَأَمَّا الْمَنْهَجُ الْوَصْفِيُّ، فَمِنْ أَجْلِ وَصْفِ الظُّوَاهِرِ الْحِجَاجِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي الْخُطْبَةِ، مِنْ خِلَالِ الرُّوَابِطِ الْحِجَاجِيَّةِ، أَوْ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ اللَّغَوِيَّةِ، وَالْكَشْفِ عَنِ كَيْفِيَّةِ إِسْهَامِ الْمَكُونَاتِ اللَّغَوِيَّةِ دَلَالِيًّا فِي عَمَلِيَّةِ الْإِقْنَاعِ. كَمَا بَحَثَ الْمَنْهَجُ فِي خِصَائِصِ بَنِيَّةِ الْمَلْفُوظِ الْحِجَاجِيِّ لِلْخُطْبَةِ.

هَذَا الْبَحْثُ يَضُمُّ بَيْنَ دَفْتِيهِ مَدْخَلًا وَفَصْلَيْنِ يَتَفَاوَتَانِ نَسْبِيًّا فِي الطُّوْلِ، وَخَاتَمَةً تَتَضَمَّنُ أَهَمَّ النَّتَائِجِ الَّتِي انْتَهَتْ إِلَيْهَا الدَّرَاسَةُ. وَقَدْ حَاوَلْنَا فِي الْمَدْخَلِ أَنْ نَجْلُوَ جَوَابَ مِنْ سِيرَةِ مُحَمَّدِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَشْأَتِهِ، وَتَحْصِيلِهِ التَّقَايِيَّ، وَنَشَاطِهِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِصْلَاحِيِّ، دُونَ إِغْيَالِ فِي التَّفَاصِيلِ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَذِّ يَطُولُ مَا يَطُولُ، وَلَكِنَّهُ يَقْصُرُ عَنِ الْإِحَاطَةِ أَوْ مَا دُونَهَا.

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ عَلَى أَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ، تَصَدَّى الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ لِمَفْهُومِ الْحِجَاجِ، وَعِلَاقَتِهِ بِمَجَالِهِ الْمَفْهُومِيِّ، وَبَيْنَ الْمَبْحَثِ الثَّانِي حُدُودَ تَدَاخُلِ الْحِجَاجِ مَعَ مِصْطَلِحَاتٍ أُخْرَى كَالْبِرْهَانِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، وَالْإِقْنَاعِ

والحوار. كما عرضنا في المبحث الثالث لملامح الحجاج في التراثين الغربيّ والعربيّ، أمّا بالنسبة إلى التراث الغربيّ، فإننا بحثنا في الحجاج في الفكر اليونانيّ القديم، من خلال التركيز على الجدل والخطابة عند السفسطائيين، ثم عند أفلاطون، كما وقفنا عند الدرس الحجاجيّ الأرسطيّ. وأمّا بالنسبة إلى التراث العربيّ، فإننا اقتصرنا على التّصوّرات النظريّة للحجاج عند كل من الجاحظ، وابن وهب، وحازم القرطاجيّ.

ولقد حاولنا في المبحث الرّابع الكشف عن الحجاج في الدرس البلاغيّ الغربيّ المعاصر وأهم نظريّاته، فقدّمنا نظريّة الخطابة الجديدة لبيرلمان، باعتبارها من أهمّ النظريات الحجاجيّة التي أنتجتها المدرسة البلجيكيّة، والتي قاربت الحجاج بلاغيا، ثم أثبتنا نظريّة الحجاج عند تولين الذي حاول إعطاء الحجاج سمة عقلائيّة، ومظهرها منطقيا. وانتهينا إلى أوزفالد ديكرود الذي قارب الحجاج لسائيا بوقوفه عند نظريّة الحجاج في اللّغة، وبعرضه لنظريّة السّلم الحجاجيّ، والعوامل والرّوابط.

وختمنا هذا الفصل بالتّطرّق إلى الحجاج في الدّراسات العربيّة المعاصرة، من خلال أهمّ ما قدّمه الباحثون العرب في هذا الميدان، وقد ركّزنا على دارسين لهم اتّجاه واضح المعالم. فتناولنا الحجاج في الدرس الفلسفيّ عند طه عبد الرّحمن، كما عرضنا للحجاج في الدرس البلاغيّ عند محمّد العمريّ، ووقفنا على الحجاج في الدرس اللّسانيّ عند أبي بكر العزاويّ.

أمّا **الفصل الثاني**، فهو على الجملة ولوج في عوالم خطبة الشّيخ البشير الإبراهيميّ، عبر دراسة تطبيقية في الآليات البلاغية للحجاج المتوفرة في الخطبة من الأساليب البيانية كالاستعارة والتّشبيه والكناية، ومن بديع وتكرار وتفرّيع، مع تبيان مدى تحقق قيمتها الحجاجيّة داخل الخطبة.

وقد خصصنا المبحث الثاني لآليات الحجاج اللغوية ومنها: الرّوابط الحجاجيّة ومعاييرها، والعوامل الحجاجيّة كالقصر، وأدوات الشّروط، وأسلوب التوكيد، وأفعال الكلام والمقام والتّمثيل.

على أنّه لا بدّ من التّنويه بالجهود المبذولة التي مهّدت السّبيل لدرس مباحث الحجاج، بما تتيحه للباحث من طرائق التّحليل. ومن أهمّ هذه المراجع التي اعتمدت عليها دراستنا: "الخطاب والحجاج" و"اللّغة والحجاج" لأبي بكر العزاويّ، و"الحجاج في القرآن" لعبد الله صولة، و"في بلاغة الحجاج الإقناعيّ" لمحمّد العمريّ، وكتاب: "استراتيجيّة الخطاب مقارنة لغوية تداولية" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وبحث صابر الحبّاشة: التداولية والحجاج، بالإضافة إلى بعض البحوث الجامعية.

ولعلّ من أهمّ الصعاب التي عرقلت مسعانا، ووقفت دون بلوغ الغاية القصوى محدودية الدراسات التطبيقية، بسبب حداثة الدرس الحجاجي في العالم العربيّ، وندرة الاختصاص في هذا المجال، واختلاف المصطلحات الخاصّة بالدرس الحجاجيّ، وتعدّد المفاهيم للمصطلح الواحد. بالإضافة إلى تداخل الحجاج مع حقول معرفية أخرى منها: السياسيّ، والدينيّ، والاجتماعيّ، والفلسفيّ، والنّفسيّ، واللّسانيّ، مما يتطلب إلماما واسعا من الدّارس.

وفي الأخير نرجو أن تكون هذه المحاولة قد قاربت البغية، وأن تصادف قبولا كريما. وإنه لا مندوحة من التّنويه بفضل الأستاذ المشرف: محمد صغير، فجزاه الله عنّا خير الجزاء، ولا يسعنا إلا أن نتقدّم بأخلص الشّكر والامتنان لكلّ من أسبغ على هذا البحث من عنايته، فالشّكر لكلّ من آزر وسدّد وأعان.

ولا نزعم- بعد ذلك - أنّنا استكملنا الموضوع حقّه، فما زال فيه الكثير ممّا لم يُدرس، أو ممّا لم يُتعمق في تحليله، وحسبُ هذا البحث أن يكون امتداداً للجهود، وأن يكون لبنةً في بناء يتكامل تباعاً. ولعلّ ما بذلناه من جهدٍ يغفر ما في هذه الدّراسة من نقصٍ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا بما علّمنا عاملين، وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم، بما نستفيد ونفيد، مُريدين.

جيجل في: 21ماي 2015

الموافق ل: 02 شعبان 1436هـ

ملخص حول حياة الشيخ محمد النسير الأبراهيمي

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

1- مولده ونشأته:

قال العربي التبسي: "إن الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وإن العظمة أصل في طبعه"¹. وقال محمد طاهر فضلاء: "ليس من اليسير السهل أن يكتب أحد عن الشيخ البشير الإبراهيمي في شخصيته المتعددة الجوانب، وفي كل هذه الجوانب آفاق سمو، وخضمّ معارف ومعالم"²

هو محمد البشير الإبراهيمي بن محمد السّعدّي بن عمر بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي المولود يوم الخميس عند طلوع الشمس في الرابع عشر من شهر شوال سنة ست وثلاثمائة وألف، ويوافق الثالث عشر من يونيو سنة 1889م، وهو من قبيلة تعرف بأولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل، ويرفع نسب هذه القبيلة إلى إدريس بن عبد الله الجدّ الأول للأشراف الأدارسة، وبيته أحد البيوتات التي حفظت رسم العلم وتوارثته.

ويقول عن نفسه: "نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأت في التعلّم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا... فلما بلغت سبع سنين استلمني عمّي من معلمي القرآن، وتولى تربيته وتعليمي بنفسه... حتى كدت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه..."³

وقد اعتنى به عمّه "محمد المكي الإبراهيمي" عناية فائقة، وفتح له أبوابا كثيرة في العلم، فحفظ قدرا كبيرا من متون اللغة، وعددا من دواوين فحول الشعراء، ووقف على علوم البلاغة والفقه والأصول، ولما مات عمه تصدّر "البشير الإبراهيمي" لتدريس ما تلقاه لزملائه في الدراسة، وكان عمره حينئذ أربعة عشر عاما.⁴

في سنة 1911م استدعى لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي، فغادر الجزائر متخفيا ليلتحق بأبيه الذي هرب من الظلم الاستعماري، واستقر بالمدينة المنورة منذ 1908م⁵

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت. 1997، من مقدمة الكتاب لأحمد طالب الإبراهيمي 16/1.

² - محمد طاهر فضلاء مقال مجلة الثقافة الجزائرية العدد 87، 1985.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: أنا، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة 1961، ص90

⁴ - ينظر: بشير كاشة الفرحي، محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان، دار الآفاق، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 22، 23.

⁵ - سعيد بورناد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830- 1962)، دار الأمل، تيزي وزو، ط 2، 2004، ص 131.

وهو في طريقه إلى المدينة المنورة مكث بالقاهرة مدة ثلاثة أشهر، إذ كانت فترة قصيرة، ولكنه حضر فيها حلقات العلم بالأزهر الشريف، وكان ممن حضر لهم: "سليم البشرى"، و"محمد نجيب المطيعي" الذي سمع له صحيح البخاري، و"يوسف الدجوي" سمع عنه البلاغة، و"سعید الموجي" الذي تلقى عنه دروسه في الموطأ، وزار دار الدعوة والإرشاد التي أسسها "رشيد رضا"، كما التقى في مصر بالشاعرين الكبيرين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم".

وفي المدينة المنورة استكمل "محمد البشير الإبراهيمي" العلم في حلقات الحرم النبوي، واتصل بعلمين كبيرين كان لهما أعظم الأثر في توجيهه وإرشاده، أمّا الأول فهو "عبد العزيز" الوزير التونسي، الذي أخذ عنه موطأ الإمام مالك، ولزم دروسه في الفقه المالكي، وأمّا الثاني فهو "حسين أحمد الفيض آبادي الهندي"، الذي أخذ عنه شرح صحيح مسلم. ومن شيوخه في المدينة المنورة أيضا "محمد عبد الله زيدان الشنقيطي"، وقد أخذ عنه أنساب العرب وآدابهم الجاهلية، والسيرة النبوية، وكذلك "عبد الباقي الأفغاني" وقد أخذ عنه علم المنطق.

1

وفي أثناء إقامته بالمدينة المنورة التقى بـ"عبد الحميد بن باديس"، الذي كان قد قدم لأداء فريضة الحج سنة 1913م، وقد ربطت بينهما المودة ووحدة الهدف ورباط وثيق، وأخذ يتطلعان لوضع خطة تبعث الحياة في الأمة الإسلامية بالجزائر، وانضم إليهما "الطيب العقبي"، وهو عالم جزائري سبقهما في الهجرة إلى المدينة، والتقى الثلاثة في أيام متصلة، ومناقشات جادة حول وضع الجزائر، وسبل النهوض بها، فوضعوا الأسس الأولى لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.²

وفي سنة 1916م غادر "محمد البشير الإبراهيمي" المدينة المنورة إلى دمشق بأمر من الحكومة العثمانية، يقضي بترحيل سكان المدينة إلى دمشق بسبب ثورة الشريف حسين بن علي، وفي دمشق عمل الإبراهيمي مدرّسا في مدرسة السلطانية، كما ألقى دروسا في الجامع الأمويّ، وشارك في تأسيس المجمع العلمي، الذي كان من غاياته تعريب الإدارات الحكومية. وقد تخرج على يديه بدمشق جيل من المثقفين الذين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة.³

¹ - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي: أنا م.س. ص 92

² - محمد البشير الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المقدمة 1/10

³ - ينظر: م.ن.

2-رسالته في الجزائر:

عاد محمد البشير الإبراهيمي إلى بلده الجزائر سنة 1920م، وبعودته أنهى مرحلة التعلم والأخذ لينتقل إلى مرحلة العطاء، عاد وقد اختمرت في ذهنه فكرة الإصلاح، تلك الفكرة التي كانت قد انتشرت في المشرق منذ نهاية القرن 19م، وكانت موضوع اجتماعاته مع عبد الحميد بن باديس في المدينة المنورة على امتداد ثلاثة أشهر.

وكان ابن باديس قد شرع في تنفيذ الفكرة التي عزم عليها مع محمد البشير الإبراهيمي، الشيء الذي دفع الأخير بعد العودة مباشرة إلى الانطلاق في الدعوة والتعليم في مساجد قسنطينة التي استقر فيها، وقد سره ما رآه من بداية لنهضة إسلامية في الجزائر.

ومؤازرة لهذا السعي شرع الإبراهيمي في حركة علمية وإصلاحية واسعة، إذ أخذ يعقد الندوات العلمية للطلبة، والدروس العلمية للجماعات القليلة، ثم الدروس المنظمة للتلاميذ الملازمين، كما أخذ يلقي المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد متنقلا من بلدة لأخرى، ثم أنشأ مدرسة صغيرة بمدينة قسنطينة يبرن فيها الشباب على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالعلم اللازم.

وكانت في تلك الفترة اتصالات وزيارات بينه وبين رفيقه في الجهاد والإصلاح عبد الحميد بن باديس، كان أهمها زيارة قام بها ابن باديس للإبراهيمي في سطيف، واتفقا في إثرها على تأسيس جمعية الإخاء العلمي، ليواصل العمل على إخراج جمعية العلماء من حيز القول إلى حيز الفعل، وفي 05 ماي 1931م كان الميلاد الفعلي لجمعية العلماء، فانتُخب ابن باديس رئيسا والإبراهيمي نائبا عنه، وكلف الإبراهيمي بوضع لائحة داخلية لشرح أعمالها، وتبيين أهدافها، فكتبها في مائة وسبع وأربعين مادة، وتلاها على الحاضرين فأعجبوا بها.

وتقسام أقطاب الحركة الإصلاحية المسؤولية في المقاطعات الجزائرية الثلاثة، وتولى "البشير الإبراهيمي" مسؤولية (تلمسان) العاصمة العلمية في الغرب الجزائري، بينما اختص "عبد الحميد بن باديس" بالإشراف على مقاطعة (قسنطينة). بما تضم من القرى والمدن، واختص "الطيب العقبي" بالإشراف على مقاطعة (الجزائر).

وقد بلغت الجمعية من النشاط والنجاح والتفاف الناس من حولها، ما وُلد إحساسا بالتحدي لدى سلطات الاستعمار، فقد أصدر رئيس وزراء حكومة المستعمر قرارا يقضي بنفي الإبراهيمي إلى "آفلو"، وذلك

في العاشر من مارس سنة 1940م، ولم يمض إلا القليل من فترة منفاه حتى خُبر عن موت ابن باديس _عليه
رحمة الله_.

واختار العلماء الشيخ الإبراهيمي رئيساً لـ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وقد لبث الشيخ
"البشير الإبراهيمي" في منفاه ثلاث سنوات، ثم خلى عنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1943م.

وبعد خروجه من المنفى أعاد الشيخ نشاط الجمعية في بناء المساجد وتأسيس المدارس، وإصدار جريدة
"البصائر" في سلسلتها الثانية بعد أن توقفت أثناء الحرب، وتولى رئاسة تحريرها، وكانت مقالاته الافتتاحية فيها
نسيجاً فريداً.

وقد عاد البشير الإبراهيمي إلى وطنه عند استقلال الجزائر، بعد أن كان غادره سنة 1952م وذلك من أجل
التعريف بالقضية الجزائرية في العالم العربي، وتحقيق مصالح الجمعية، وكذا من أجل البحث عن منح للطلبة
الجزائريين بالخارج، وكانت القاهرة هي محل استقراره، وبعد العودة خطب أول صلاة جمعة من مسجد
(كتشاوة) بالعاصمة (الجزائر)، وكان هذا المسجد قد حوله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة بعد احتلاله
للجزائر.

ثم لزم محمد البشير الإبراهيمي بيته ولم يشارك في الحياة العامة بعد أن كبر سنه وضعفت صحته،
وأثقلته السنون، وأوهنه المرض، حتى توفي -رحمه الله- يوم 19 ماي 1965م، بعد حياة حافلة بمجالات
الأعمال، فخرجت الأمة تودعه بقلوب حزينة، تعبيراً عن تقديرها لرجل من رجالات الإصلاح فيها، وأحد
بناة نهضتها الحديثة.

3- آثاره ومؤلفاته:

لم يتسع وقت الإبراهيمي للتأليف والكتابة، وذلك للأعمال الكبيرة والمسؤوليات التي كانت على
كاهله، ومع ذلك فقد ساهم بالكتابة في موضوعات عديدة، ولكن لم يساعده لا الفراغ ولا وجود المطابع
على طبعها، وقد بقيت كلها مسودات في مكتبته بالجزائر.

كما قد سعى ابنه "أحمد طالب الإبراهيمي" بعد وفاة محمد البشير الإبراهيمي إلى جمع آثاره رفقة
تلامذة والده، وطبعها في أجزاء تحت عنوان (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي)، فصدر الجزء الأول منها سنة

1978م، ثم صدر الجزء الثالث سنة 1981م، ثم صدر الجزء الرابع سنة 1985م، أما الجزء الخامس فقد صدر سنة 1994م، في حين مثل الجزء الثاني كتاب (عيون البصائر).

ولكن ابنه "أحمد طالب الإبراهيمي" كان يعمل باستمرار على تنقيح هذه الآثار، وعلى ترتيبها وفق تسلسلها الزمني، من خلال البحث عن المخطوطات المفقودة لمحمد البشير الإبراهيمي، سواء عند زملاء والده وأصدقائه في داخل الجزائر أو خارجها، أو عند تلامذته، وبخاصة أولئك الذين شاركوا في حرب التحرير الجزائرية.

وإلى جانب هذا فإن لمحمد البشير الإبراهيمي مؤلفات وكتابات أخرى غير تلك الآثار منها:

- الملحمة الرجزية في التاريخ، وتبلغ ستا وثلاثين ألف بين شعري، تتضمن تاريخ الإسلام والجزائر، ووصفا لكثير من الفرق التي نشأت في عصر محمد البشير الإبراهيمي، ووصفا للاستعمار الفرنسي ومكائده ودسائسه.
- التسمية بالمصدر
- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر: والتزم فيها اللهجة السائدة إذ ذلك في مواطن هلال بن عامر.
- الاطراد والشذوذ في العربية.
- رسالة في: في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
- رسالة في: ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
- أسرار الضمائر العربية.
- الصفات التي جاءت على وزن "فَعَل".
- نظام العربية في موازين كلماتها.

- رواية كاهنة الأوراس.
- رسالة في: مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.
- شعب الإيمان (في الأخلاق والفضائل).
- حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.
- فتاوى متناثرة.

وبعض قيمة تلك الخطب أنها أرادت تأكيد معنى أساسي كان أبرز المعاني الجوهرية في حركة الإصلاح وفي حركة الثورة، ذلك هو الرجوع إلى الأصالة، بالدفاع عن دين الجزائر ولغتها وشخصيتها، وتثبيت ذلك في نفوس الأجيال الجزائرية التي كانت في المعركة، أو التي كانت في النضال، أي التي تخوض المعركة ضد الاستعمار والتي كانت تتأهب لخوضها.¹

وفي الفترة التي كتبت فيها خطب محمد البشير الإبراهيمي ارتبط نسق التفكير عنده بمموم الواقع، إذ صارت كتاباته نسقا بأبعاد واقعية، تستحيل فيها تجربته الفكرية إلى معين دلالي وحضاري يبلور به المشكلات، ويكشف به عن مسوغات القهر والانحطاط التي لحقت بالجزائر وبالمسلمين من حولها، كالحرب الثانية مثلا.

لذلك اتسمت الخطب التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي بمميزات خاصة، منها:²

- 1- المنهجية الدقيقة والعرض المنطقي.
- 2- الجمع بين جمال الصياغة والتعبير عن الفكرة.
- 3- الرسالية.
- 4- السخرية الحادة واللهجة العنيفة عند المناقشة.

¹ - ينظر: البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج3، 1997، ص 37.

² - ينظر: عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 37.

ظاهرة الاقتباس والتضمين.

وعليه فالخطاب الفكري والمعرفي في تلك الخطب يبدو متميزا بمحددات اتجه فيها صاحبها إلى اكتناه عناصر الصراع ومدى تجسدها في الحاضر، والموضوعات التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي في تلك المرحلة _فترة كتابة الخطب_ مؤشر لقدرته على تتبع الأحداث والوقائع وقراءتها قراءة عميقة.¹

ويمثل المجال الإصلاحية حوالي 44% من مجموع موضوعات نثر محمد البشير الإبراهيمي،* والسبب في العناية بهذه الموضوعات هو الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في عصره، والرسالة التي كان يحملها هو لإنقاذ بلاده.

وكتابات محمد البشير الإبراهيمي الإصلاحية متنوعة تشمل مختلف مجالات الحياة، منها ما يتعلق بمجال الدين، ومنها ما يتعلق بقضايا أخرى أساسية في عملية الإصلاح، كقضية التعليم والتربية وقضية بناء مستقبل الأمة وغيرها، "ومن خصائص تلك الكتابات الإصلاحية، التفكير الموضوعي المنهجي الواضح، والتحليل المنطقي المقنع، والعنف في مواجهة الخصم، والحكمة في إبلاغ الوعظ والنصيحة"²

وبنيات الفكر الإصلاحية عند محمد البشير الإبراهيمي جيدة، لما تحمله من سمات منهجية ومعرفية أجعلها الاجتهاد السني الذي أسس به _مع مجموعة العلماء_ لفكر إصلاحية إسلامي، يمكنه أن يخوض في مشكلات الواقع بوعي موصول بالإسلام، كما حاول أن يلامس المشكلات الإسلامية بجرأة كبيرة، سواء أكانت مشكلات فقهية أو فكرية أو فلسفية أو سلوكية.³

وقد اعتمد محمد البشير الإبراهيمي في خطبة المنهج التجديد العقلي الاستدلالي، وذلك في مقارعة الحججة القائمة على التحليل، والعرض الاستنباطي، وقد ابتعد عن المنهج الخطابي الجدلي العقيم، ولعل أبرزها ما يستوقف الدارس في طريقة المحاججة والمحاورة... هو استنادها إلى منطق استخراج الحججة من مقدمات الخصم.

¹ - ينظر: عمر أحمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي _قراءة في ظل البنية والتغير_، دار الهدى، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 71.

* - اعتمدت هذه النسبة بناء على دراسة قام بها عبد الحميد بوزوينة، راجع ذلك في كتابه: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ص 10.

² - عبد الملك بومنجل، م.س.، ص 80.

³ - ينظر: عمر أحمد بوقرورة، م.س.، ص 37.

أما سر إبداع محمد البشير الإبراهيمي فيمكن في هذا التركيز الشديد على الاختيار أولاً ثم الاستيعاب والتأمل والتذوق ثانياً، وعلى هذه الطريقة الصعبة التي أخذ بها نفسه منذ الصغر وهي بناء قاعدة صلبة من المعارف اللغوية والأدبية والتاريخية.¹

وقد بلغ الأمر ببعض الدارسين إلى تسمية خطب محمد البشير الإبراهيمي والتي هي مدونة دراستنا بأنها مدرسة، وقد اتسمت هذه المدرسة بسميزات ومعطيات عدة، يمكن حصرها فيما يلي:

1- أنها تمثل طرازاً ثقافياً فريداً في أدبه وفنه، يمثل حلقة وصل بين التراث العربي القديم في بلاغته وسجعه ورجزه وشعره، وبين الخطب المعاصرة الملتزمة بالتجديد في المبنى والمعنى، من حيث التقيد بأسلوب التحليل، وطريقة الاستنباط ومنهجية الإقناع بالحجة والدليل.

2- إن محمد البشير الإبراهيمي قد مثل الثقافة الموسوعية، التي تأخذ من كل جانب بنصيب، فهي تجمع بين الأدب والفقه والفلسفة والتاريخ والإعلام، في قالب من النثر أو السجع أو الرجز أو الشعر.

3- تمثل خطب محمد البشير الإبراهيمي أحد أهم مرجعيات تاريخ المقاومة الثقافية والسياسة في الجزائر خصوصاً، وفي الوطن العربي والأمة الإسلامية بوجه عام، ففي كل خطبة من خطبة تذكير بما كان يحدث على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والدينية في جميع الأوطان العربية أو الإسلامية.

4- الربط المحكم في هذه الخطب بين الأصالة ومتطلباتها اللغوية، والعقدية والوطنية، والحضارية، والاعتماد على هذه الأصالة في مقاومة الظلم والغزو، والاستعمار بجميع ضروبه وأشكاله.

5- الموضوعية العلمية في عرض الوقائع، والوقوف على ما هو إيجابي منها، وما هو سلبي ثم عرضه بعد ذلك على ميزان المنطق والقناعة والانتماء.

6- الكشف عن معجم لغوي وسياسي خاص في أسلوب محمد البشير الإبراهيمي، مما يساعد قارئة على تفتق ذهن، وتوسيع مدركات العقل، وتقعيد المفاهيم.²

¹ - ينظر: محمد ناصر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفني (دراسة)، المرجع نفسه، ص 446.

² - ينظر: عبد الرزاق قسوم، م.س.، ص 440 - 441.

الفصل الأول:

الحجاج مفهومه ومجالاته وأهم
نظرياته

المبحث الأول: مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحاً:

1 - الدلالة اللغوية للفظ الحجاج:

يعرّف ابن منظور الحجاج فيقول: "والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دُفع به الخصم. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل. والتجاجج التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجّه محاجة وحجاجا نازعه الحجة، وحجّه يحجّه حجّاً غلبه على حجّته، وفي الحديث: "فحجّ آدم موسى" أي غلبه بالحجة (...). والحجة الدليل والبرهان، يقال حاججته فأنا محاجّ وحجيج فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أي أغلبه بالحجة".¹

أما ابن فارس في كتابه "مقاييس اللغة"، فيعرّف الحجاج على النحو الآتي: "يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج. والمصدر الحجاج".² وكذلك تناول الزمخشري كلمة حجاج في كتابه "أساس البلاغة"، حيث يقول: حجج: احتجّ على خصمه بحجة شهباء، ومجج شهب وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة".³ أمّا في المعجم الوسيط فنجد: "حاجّه فحجّه... (حاجّه) محاجة، وحجاجا: جادله، وحاجّه: عارضه مستنكراً... (تحاجّوا): تجادلوا"⁴

يظهر لنا من خلال هذه التعاريف أنّ اللغويين العرب يشتركون في نقطة واحدة، وهي أنّ الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين شخصين، حيث اعتبروا الحجة وسيلة يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه. إذاً فالحجاج في كلّ هذا قريب من معنى الجدل، الذي هو الخصومة والاعتراض بباطل. وقد يكون بمعنى الحجة أو الدليل.

2 - الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج:

تذهب معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج إلى أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبيه بين "المتكلم والمستمع" حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، وللمستمع حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج2، 1410هـ - 1990م، مادة (ح ج ج) .

² - أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط.1، مج2، 1411هـ - 1991م، ص.30

³ - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط.1، 1992م، ص.113.

⁴ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطابع المعارف، مصر، ط.2، 1393هـ - 1972م، ج1 ص.156.

ولذلك يعرف طه عبد الرحمن الحجاج على أنه "كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها".¹ ويتوسّع طه عبد الرحمن أكثر في مفهوم الحجاج في كتابه "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، وذلك من خلال مقارنته بالبرهان حيث أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين، "فهو تداولي لأنّ طابعه الفكريّ مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشائية موجّهة بقدر الحاجة".² فالصفة التداولية للحجاج تمنح الفرصة للجميع في الاشتراك فيه دون استثناء، ومن أيّ مستوى، على عكس البرهان الذي يتصفّ بقواعد وتمايز في المستويات.

أمّا الصفة الثانية للحجاج، فهي في كونه "جدليّ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأنّ تبني الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل هذه الصور مجتمعة على مضامينها أيما اجتماع، وأنّ يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج".³

فمن خلال هذه الصفات نجد أنّ الحجاج أوسع من البرهان؛ ذلك أنّ البرهان منحصر في قواعد معروفة، فهو كآلة تعيد فقط هذه القواعد، على عكس الحجاج الذي يتّسم ببنيات واسعة، ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

ويذهب عبد الهادي بن ظافر الشهري إلى نفس فكرة طه عبد الرحمن في أنّ هدف الحجاج هو هدف إقناعي، حيث عرف الحجاج بربطه بالإقناع فقال: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها، وتتجسّد عبرها استراتيجية الإقناع".⁴ فليس هناك مرسل يرسل خطابه هباءً إلّا ومن ورائه هدف معيّن، وهو الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللّغوية، وحتى غير اللّغوية كالإشارات والإيماءات.

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 1998م، ص.226

² - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2000م، ص.65

³ - م.ن.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2004م،

أما شاييم بيرلمان Ch. Perlman فيجمع في تعريفه للحجاج بين شكله والغاية منه، فاعتبر الحجاج "بأنه إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجح حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة"¹. وحدد بيرلمان في تعريفه مجال الحجاج وهو الإقناع؛ "إذ جعل منه لب العملية الحجاجية، كما اعتبره أثرا مستقبلياً يتحقق بعد التلطف بالخطاب، لينتج عنه القرار بممارسة عمل معين، أو اتخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو الإحجام"²

نلمح من خلال هذه التعاريف أن الحجاج يعتمد أساساً على مرسل ومرسل إليه، حيث إن الدور الكبير في هذه العملية يعود إلى المرسل؛ نظراً لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة، وعلى المرسل أن يكون بارعاً في اختياره لهذه الحجج؛ نظراً لتفاوتها في درجات الإقناع.

أمّا عبد الحليم بن عيسى فيرى أن أهم شيء تتأسس عليه دلالة الحجج هو: "وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، بالتالي إقناعهم بمقصد معين"³

فلا حجاج دون اختلاف، ولا حجاج دون القدرة على الإقناع بالأدلة والحجج التي توصل إلى الإقناع.

المبحث الثاني: علاقة الحجاج بمجاله المفهومي:

ارتبط الحجاج عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مترادفات له، لهذا تعدّ مسألة تداخل المصطلحات أول ما يعترض الباحث في هذا الحقل، خاصة في بداية نشأته. لذلك فمن المستحسن مقابلة مفهوم الحجاج بغيره من المفاهيم التي تلابسه. والوقوف على حدود التداخل بينهما وهي كثيرة: كالجدل والبرهان،

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: م.س، ص. 456 - 457.

² - م.ن، ص. 457.

³ - عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً" العدد 102 مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب،

دمشق، 1427هـ - 2006م، ص.4.

أو الاستدلال البرهاني، الخطابة، الحوار أو التحوار، المناظرة، المخاصمة، المنازعة... وسنكتفي بدراسة بعض منها.

1 - الحجاج والجدل:

لقد نظر العرب القدامى إلى الجدل على أنه مرادف الحجاج، وقد بقيت هذه النظرة حتى عصرنا الحديث، فبعض الدراسات الحديثة تزوج بين المصطلحين، وتجعلهما مترادفين كما هو الشأن في كتاب "مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم" للهادي حمّو.¹

إنّ هذا الترادف بين المصطلحين راجع إلى اعتمادهما على العناصر نفسها المكونة للعملية التواصلية، وهي (المتكلم والمستمع والخطاب)، غير أنّ هذا الاعتبار من طرف القدامى وبعض المحدثين من شأنه أن يضيق مجال الحجاج، ويغرقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية.²

إنّ اعتبار الحجاج مرادفا للجدل أمرٌ فيه الكثير من المغالطة، فعبد الله صولة مثلا يؤكد أنّ الحجاج أوسع مجالا إذ "إنّ كل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدل".³ كما يحتفظ "طه عبد الرحمن" في تعريفه للحجاج بالجانب الجدلي فيه حين يقول: "وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية".⁴ وبهذا يخرج الحجاج من دائرة الجدل التي حاصرتة وضيقته بمجاله، غير أنّ الحجاج في بعض وجوهه جدل، إلاّ أنّه أوسع وأشمل منه.

وهناك من يعرف الجدل بأنّه: "عبارة عن قدرة كلامية، وبراعة حجاجية"⁵، وهذا التعريف يصف الجدل بأنّه قدرة كلامية يستغلها المتكلم في إقناع المتلقي، وبذلك يكون الجدل في أحد وجوهه حجاجا، إذ إنه يستعمل اللغة في المنازعة والمغالبة، وحينئذ يصبح الجدل معادلا للحجاج، إلاّ أنّه أوسع منه مجالا، وذلك باعتبار أنّ الغرض من الجدل هو "إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال"⁶، في حين أنّ الحجاج لا يلزم

1 - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط.2، 2007م، ص.15.

2 - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، م.س، ص.15.

3 - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س، ص.14.

4 - م.ن، ص.15.

5 - محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص.07.

6 - محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص.05.

الخصم على الإذعان والقبول، بل يترك له حرية الاختيار، فإن اقتنع بحججه يذعن له، أما إذا لم يقتنع، فمن حقه الرّفص والاعتراض.

2 - الحجاج بين الجدل والخطابة:

يرى عبد الله صولة أن الحجاج هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، من حيث إنّ الجدل والخطابة قوّتان لإنتاج الحجج.¹ وبمضي في تفسيره لهذا التداخل، وتوقع الحجاج بين الجدل والخطابة، فيبين أنه يوجد على الأقل حجاجان: جدلي وخطابي: أمّا الحجاج الجدلي، فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه الطوبيقي (Topiques) (ومعناه المواضيع أي مواضيع القول)، ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضّة لغاية التأثير العقليّ المجرد، وتمثله في التراث العربيّ الإسلاميّ مناظرات "علم الكلام"، كما تمثله المناظرات الفقهيّة. هذا الحجاج الجدلي موجود في القرآن الكريم معتبرٌ من بدائعه، وهو الذي تجتهد علوم القرآن في استخراجه، ودرسه تحت عنوان "جدل القرآن"، أو "المذهب الكلامي في القرآن"، أو الاحتجاج النظري في القرآن".²

- أمّا الحجاج الخطابي، فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه "الخطابة"، وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقليّ، وإنّما يتعداه إلى التأثير العاطفيّ، وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالتة، ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحّة الواقع من قبيل التخييل.³

3 - الحجاج والحوار (أو المحاورة أو التحوار):

من معاني المحاورة: المجاوبة، وهي من الفعل حاور الدال على المشاركة والتحوار والتجاوب، تقول أحررت له جوابا، وما أحرار بكلمة.⁴ والمحاورة مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة.

¹ - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س.، ص.17.

² - م.ن، ص. 17-18.

³ - م.ن.، ص. 18.

⁴ - ابن منظور: م.س، مادة (ح و ر).

تحمل المحاوره معنى التفاعل بين الطرف الأول والطرف الثاني، فالأول يطرح سؤالاً أو يبدي رأياً، فيردّ عليه الثاني فيناقشه، وهنا يلتقي معنى الحجاج بمعنى التّحاور أو الحوار، فالحجاج حين يطرح حجته ينتظر من الطرف الآخر أن يجاوره ويسأله ويجيبه ويناقشه.

إنّ هذا التفاعل يجعل معنى الحجاج يقترب من الحوار؛ لأنّه يشتمل على حرية رأي الطرف الآخر، فالمتلقّي أو الطرف الثاني في العمليّة الحوارية لديه الحقّ في الرّفص أو الاعتراض على خطاب الطرف الأول، وهنا نقطة التقاء الحجاج بالحوار، وبذلك يتضح أنّ الحوار هو الحجاج من أحد وجوهه، من خلال ما يحدث في العمليّة الحوارية، إذ إن كل طرف يحاول إقناع الآخر بوجهة نظره دون أن يضغط عليه من أجل كسب الإذعان منه، ويستغل في ذلك كلّ الآليات الحجاجية المتاحة، بينما يقترب الحجاج من الحوار حين يستغله كإحدى الوسائل لإقناع المتلقي، وبذلك يظهر أنّ الحوار يدخل في صميم الحجاج، والحجاج يتضمن الحوار.

على أنّ الحوار بين العقول والشعوب ضروري خصوصاً في عصرنا الحالي، وذلك من أجل التفاهم والتواصل والتعايش والتقارب بين التيارات الفكرية المختلفة؛ "فالإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية والمرتكزة على الحجّة والبرهان، في إطار الحوار الهادئ العميق".¹ وهذا القول يبين أنّ الحوار وسيلة لتقديم الحجج من أجل الإقناع.

4 - الحجاج والبرهان:

يقول ابن حزم: "الحجّة هي الدليل إذا كان برهاناً أو إقناعاً أو شغباً"²، ويعرف البرهان بقوله: "البرهان كلّ قضية أو قضايا دلّت على حقيقة حكم شيء"³، فهو في القول الأول أعطى الحجاج مجالاً واسعاً بضمّه البرهان والإقناع والشغب، بل ضمّ إليها ما هو أوسع منها مجالاً وهو الدليل.

أمّا في تعريفه للبرهان، فنستخلص من قوله أنّ البنية التكوينية للبرهان هي القضية أو القضايا التي تفضي إلى نتيجة ما ذات وظيفة إثباتية لحقائق الأشياء.

¹ - محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، قواعد، أساليبه ومعطياته، دار المنصوري للنشر، الجزائر، د.ط، د.ت، ص.32.

² - ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، د.ط، 1983م، ج.1، ص.39.

³ - م.ن.، ص.39 - 40.

أما طه عبد الرحمن فيقول: "يطلق على الحجّة أسماء أخرى مثل: الدليل والاستدلال وحتى البرهان، لكنّ هذا الإطلاق من باب التجوُّز أو التوسّع"¹. ويعرّف البرهان في موضع آخر فيقول: "البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالها، وهو شبيه بالحجّة المجردة"².

وأغلب الدّراسات والبحوث التي لها صلة بموضوع الحجاج كانت تميّزه عن البرهنة، وتبيّن التعارض القائم بينهما، فمجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، وهو لصيق دوماً بالخطاب واللّغات الطبيعية، أمّا البرهنة فمجالها المنطق واللّغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام، والمصطلح الجامع الذي يشملهما هو الاستدلال، فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجاً، وكذلك كل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلالاً، والعكس غير صحيح.

أمّا حديثاً فيقابل مصطلح البرهان باللّغة الأجنبية (démonstration) إلاّ أنّه يوجد من يفضل مقابله بمصطلح (Argumentation).

أمّا بالنسبة للغربيين، فقد سعى أكثرهم إلى التفرقة بين الحجاج والبرهان، وهذا بغية تحرير الحجاج من القيود الصارمة والمجال الضيق اللذين يختصّ بهما البرهان.

والمقابلة بين الحجاج والبرهان من العلامات البارزة في تاريخ الحجاج، فليونيل بلينجر يرى أنّه هناك فكرة تسيطر على الحجاج في جميع مراحلها التاريخية، إذ كثيراً ما يتم معارضة الاستدلال الصارم - من النمط الرياضي أو النمط الصّوري - بالحجاج الذي يقترب من الجدل والخطابة.³

أمّا بيرلمان، فيرى أنّ الدليل البرهاني هو الدليل الذي يحلّل من قبل المنطق، وهو الأكثر إقناعاً وإفحاماً، بشرط توفر حقيقة المقدمات المكوّنة له، وأنّ الحجاج لا ينقل من المقدمات إلى النتيجة خاصة موضوعية

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، م.س. ص. 225.

² - م.ن.، ص. 226.

³ - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، م.س. ص. 57.

كالحقيقة، إنما يسعى إلى نقل الموافقة التي تتمتع بها المقدمات إلى النتيجة، وهذه الموافقة مرتبطة دائما بجمهور خاص، وهي تختلف من جمهور إلى آخر. وقد قدم ليونيل تميزا جوهريًا وأساسيًا بين البرهان والحجاج:

- فالحجاج يقتضي تفاعل الذوات.
- في حين البرهنة تنفي الذات، لأنها بعيدة عن تأثيرات اللغة والعواطف، وبعيدة عن الزمان والمكان المستعمل فيها وعن دور المستمع والخطيب.

5 - الحجاج والإقناع:

قد جاء في القاموس المحيط من معاني (قنع):

- معنى السؤال والتذلل: القنوع بالضم: السؤال والتذلل والرضا بالقسم.
- الرضا: رجل قانع وقنيع والقناعة: الرضا، رضا يقنع به أو بحكمه أو بشهادته، وأقنعه: أرضاه، وقنعه تقنيعا: أرضاه.¹

وقد حدد مفهوم الإقناع حازم القرطاجني في كتابه: منهاج البلغاء، بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده"². أما بعضهم فيعرفه على أنه: "تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء، أو الاعتقاد بشيء ما"³.

فالإقناع هو هنا عملية طرح الحجج، ومحاولة حمل المخاطب على الإذعان في قبول ما يطرحه المتكلم، وهو نفسه تقريبا عند القرطاجني، وهناك مفهوم يرى أن الإقناع هو: "العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر"⁴.

¹ - الفيروزآبادي محمد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط.8، 1426هـ - 2005م، مادة (ق)

ن ع)

² - القرطاجني أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2، 1981م، ص.20.

³ - محمد شمال حسن: الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، دار الآفاق العربية، بيروت، ط.1، 2006، ص.30.

⁴ - ابن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2000، ص.21.

من خلال كل التعريفات السابقة نلاحظ أن ارتباط الحجاج بالإقناع أمر مفروغ منه، إذ إنه يعدّ الوجه الآخر للحجاج، فهدف استخدام الحجاج في الخطاب هو إقناع المتلقي بفحوى ذلك الخطاب، وجعله يذعن لما يطلبه المتكلم، فمفهوم الإقناع يقترب من مفهوم الحجاج الذي هو طرح الحجج والبراهين التي تجعل المتلقي يذعن بدون إكراه.

وعليه فالحجاج والإقناع يقتربان من بعضهما البعض، وذلك أن أحدهما هو غاية الآخر، والآخر هو وسيلة الأول في بلوغ غايته. وعلى الرغم من هذا التداخل بين المصطلحين، فإن هناك حدا فاصلا بينهما يتمثل في درجة التوكيد، حيث يرى أوستين فريلي (Austin Freely) أن الحجاج والإقناع جزء من عمليّة واحدة ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد، فالحجاج يولي الدعاوي المنطقية أهمية خاصة، ولكنه يجعل من اختصاصه أيضا الدعاوي الأخلاقية والعاطفية، أما الإقناع فإنه ينعكس على التوكيد الذي يُبطل ضده.

كما أن قضية الإقناع لا تتحدد في ذاتها، إنما هي مرهونة بمدى نجاعة الحجاج، فنجاعة الحجاج تكمن في إقناع الطرف الثاني بما يطرحه الطرف الأول في العمليّة الحجاجية، ونجاعة الإقناع تكمن في مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي، وإذعانه لما يطلبه المتكلم أو المحتج.

وهكذا نجد أن الإقناع يمثل قاعدة الحجاج التي يسعى إليها، وبذلك يكون هو محور الدراسة في الحجاج، ولذلك عدّ الإقناع الوجه العام للحجاج ومرادفه الآخر عبر المواضيع المنطقية.¹

وبذلك نستنتج أن الإقناع يحمل معنى الحجاج، والحجاج يحمل معنى الإقناع، أي إن الحجاج هو مطبّعة الإقناع، والإقناع هو هدف الحجاج.

-المبحث الثالث: الحجاج في الفكر القديم:

من الضروري النظر في أوليات أو جذور الحجاج، وهذا قبل الخوض في النظريات الحجاجية الحديثة، وذلك بالرجوع إلى التراث اليوناني، الذي عرف العديد من أنواع الخطابة، منها السياسية والقضائية أو تلك التي عرف بها السفسطائيون، وهي "الخطابة الجدلية"، ثم الخطابة عند أرسطو كفنّ ذي مضمون وهدف، وعلى

¹ - عز الدين الناجح: المفهوم من خلال المفوظ الإشعاري، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 1،

الرغم من أن عددا من الفلاسفة اليونان قد حاولوا أن يرسموا الحدود الفاصلة بينهم وبين الجدل - خاصة الجدل السفسطائي - فإنهم في أعمالهم الفلسفية لم يمارسوا سوى الجدل والمحاجة¹.

1- الحجاج في التراث اليوناني:

1.1 الجدل والخطابة عند السفسطائيين:

السفسطائيون يمثلون تيارا فكريا ظهر في العالم الإغريقي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والصفة "سوفيستاس" كانت في الأصل لقب تقدير، وهي تعني في معناها الاشتقاقي "الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميزة في كل شيء". بينما ترجمت "Sophists" في الدراسات العربية بمعنى المغالطة والتمويه والقياس والخداع؛ هذا لأنهم لا يبحثون عن الحقيقة والعدل، وإنما همهم النجاح، وإفحام الخصم وإحراجه، وسيلهم في ذلك زيف القول والحجج الواهية وبراعة القول².

ومع ذلك فقد كان لهم دور فعّال في الممارسة الحجاجية، وساعدهم في ذلك براعتهم في الحجاج والجدل، وهم يزعمون أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق، كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حجته، أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر، ومردهم في ذلك أن الحقيقة شيء نسبي، والمحكم هو الإنسان، كما استعملوا أغاليط القياس (Pralogiesme) وألوانا من الحجاج للإفحام والإقناع وكذا الإثارة العاطفية³.

وتأكيدا لأهمية السفسطائيين وضرورة رفع الغبن المسلط عليهم، ذهب المتخصصون في الحجاج إلى أنه لا مناص من الاعتراف في كل دراسة بمكتسباتهم ومزاياها والتي منها:

أ- القول بتضاد الأصوات، بمعنى أن لكل خطابا مضادا، ولكل حجة تنقضها، لأنها تنسبني على رؤية مخالفة للأشياء، وتصف واقعا مغايرا.

¹ - ينظر: هادية فضل الله: السفسطائية من وجهة نظر منطقية، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، العدد 99، السنة 2000،

ص149.

² - حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، مقال ضمن مجلة عالم الفكر، العدد1، 2001، الكويت، ص119.

³ - ينظر: محمد مندور: الأدب و فنونه، فحضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006، ص 104.

ب- التنبيه إلى ما قد يرشح على الأقيسة من أعاليط، وضرورة بناء نظام لجرح القياس وتعديله، وذلك بزرعهم الحيرة والمفارقة في المشهورات، وهذه الشعبة من الدرس ستزدهر فيما يسمى بالقياس المغالطي.¹

ج- رسمهم مفهوم الاحتمال أفقا لتعامل الناس، وتفاعلهم مع بعض.

د- إتقانهم المجادلة، وكل صنوف المحاورات التي تقوم على الاستدلال المنظم بقواعد مضبوطة.²

ومع ذلك تبقى الخطابة السوفسطائية عبارة عن حجاج استهواء، فهي قول يعقده صاحبه على الظن لا على العلم، ويقصد به إلى الإقناع معتمدا في ذلك على ما يوافق "اللذة" لذة السامع والقائل، لذة الاستهواء بالنسبة إلى المقول إليه، ولذة النفع بالنسبة إلى القائل.

1.2 التفكير الحجاجي عند أفلاطون:

سار أفلاطون على خطى أستاذه سقراط في محاربة السفسطائيين، وأراد مثل أستاذه عالما تسوده قيم مثالية، ويتعامل أفرادها فيما بينهم على مستوى عال ورفيع من الإنسانية والنبيل، فأبقى في مؤلفه "الجمهورية" على من يراهم يحققون مشروعهم، وطرد منه من يراهم شرا عليه وعليها كالسفسطائيين والشعراء والطماعة.³

وقد آمن أفلاطون بضرورة تأسيس خطابة بديلة أراد أن يجعلها جدلية فلسفية تهدف إلى بلوغ الحقيقة، فالجدال عنده لا يختلف عن العلم إلا اختلافا يسيرا؛ فهو - أي الجدال - الوسيلة التي أراد بها أن ينقل - في تصوره - الحجاج عموما من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة.⁴

وقد رأى أفلاطون أن الأركان التي تبني عليها صناعة الخطابة ثلاثة وهي:

أ- اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي.

¹ - ينظر: حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية. كلية الآداب منوبة

تونس. ص 45.

² - ينظر: م. ن.

³ - حبيب أعراب: م. س، ص 9.

⁴ - ينظر: هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية. كلية الآداب منوبة تونس. ص 81.

ب- معرفة أنواع النفوس وما يرافقها من الأقاويل.

ج- مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب، أي ما يناسب المقامات من أساليب.

ولكل ذلك كانت الخطابة متوجهة رأساً إلى النفس، أشرف ما في أجزاء الإنسان لتقودها إلى السعادة الحققة، ولهذا احرص على ضبط أركان هذه الصناعة.¹

1. 3 التفكير الحجاجي عند أرسطو:

تحليل معظم مؤلفات أرسطو فكره الحجاجي، سواء فيما عرضه من مبادئ أم فيما عارض به سابقه ومعاصريه، وربما كانت كتب: المواضع، والتبكيئات السفسطائية، والخطابة أكثر المؤلفات حملاً لآراء أرسطو، ففيها نجد:

- جدلاً صريحاً أحياناً وضمنياً أحياناً أخرى مع معلمه "أفلاطون"؛ حيث طرح مشاريع تلتقي في جوانب مع تفكير أفلاطون، وفي جوانب أخرى معرفية ومنهجية وفكرية تختلف أشد الاختلاف.

- جدلاً صريحاً واضحاً محددًا، ومنظماً مع السفسطائيين، إذ اعتبر الأساس الذي بنيت عليه "خطاباتهم" فاسداً.

- جدلاً مع خطباء أثينا وأدبائها، وضع تصوراً جديداً للخطابة يختلف عن ذلك الذي عرف قبله.²

وقد فصل أرسطو الجدل عن الخطابة وأشار إلى ما بينهما من صلة بأن بين أوجه الشبه والخلاف بينهما، ومن بينها:

- أن ليس لهما موضوع واحد محدد، وإن كان الجدل أوسع أفقا.

- يستعملان القياس والاستقراء.

أما أوجه الخلاف:

- فالجدل مداره حول مطلوب جدلي، وهو سؤال لا يوجد في خصوصه رأي آخر، أما الخطابة مدارها

المسائل التي تتميز بطابع المناقشة.

¹ - حبيب أعراب: م.س، ص 10.

² - هشام الريفي: م.س، ص 154.

- يصطبغ الجدل بطابع الحوار ومشاركة الطرفين ضرورية، أما الخطابة لا تقوم على السؤال وإن كان منشؤها السؤال، فغايتها محاولة الإقناع.¹
- لا يمثل الشخصان في المحادثة نفسيهما فقط، بل قد يمثلان مذهبين أو فكرين أو ديانتين، أما عدد المقول إليهم في الخطابة لا يشكل فرقا مميزا، فقد يكون الموجه إليهم جماعة، كما قد يكون شخصا واحدا.
- هدف الجدل نظري، فحص قضايا فكرية، أما هدف الخطابة عملي، في أهم مظاهره تحدث تغييرا في الاعتقاد والسلوك.
- كما قد يبين أرسطو منافع كل من الجدل والخطابة، فعدّ الجدل وسيلة فعّالة للتواصل مع الآخرين، ومجالا للنظر والبحث الفكريين، كما أنه إذ لم يكن هناك حلال في حجاجك لن يتمكن الطرف الآخر من الانتصار عليك، أما منافع الخطابة حسب أرسطو، فإنها الضامنة للقيم التي يجب مراعاتها في شؤون الاجتماع والسياسة والأخلاق وهي قيم العدل والنفع والخير.²
- خالف أرسطو أستاذه أفلاطون في أن الجدل سبيل إلى الحقيقة؛ وذلك أن أرسطو في تصنيفه للأقوال بحسب قدرتها على قول الحقيقة جعل القول البرهاني في المقام الأول، فالقول الجدلي فالقول الخطابي ثم الشعري. فالجدل والخطابة عند أرسطو يقعان في مجال الممكن والمحتمل، أي يقبل الخلاف والاختلاف وتعدّد الآراء من حوله، وقد ذكر أن الجدل ليس المطلب منه الحقيقة بالأساس بخلاف أفلاطون، وإنما المقصود منه هو امتحان ما هو خلاف في المشهورات، أي في عوالم الاعتقاد كما يقال اليوم، للاقتراب أكثر ما يمكن من الحقيقة.³
- ويرى أن الجدل أقرب إلى دائرة الحق لاعتماده على العقل، في حين أن الخطابة صناعة مدارها "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"⁴. وهذا التعريف للخطابة شبيه جدا

¹ - أرسطو: الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986، ص 17.

² - م.ن.

³ - ينظر: هشام الرفي: م.س، ص 155.

⁴ - أرسطو: الخطابة: م.س، ص 59.

بتعريف الحجاج، خاصة وأن العلاقة بين أطرافها "تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا، أو يمليه عنه، أو يصنعه له صنعا"¹. وبذلك حول أرسطو مركز الثقل في صناعة الخطابة من التأثير إلى الإقناع، وهو أحد سبل الحجاج، كما نبه أرسطو إلى شيوع استعمال الحجاج في عملية التواصل الكلامي عموما، على أن الناس - حسب رأيه - يمارسون الخطابة والجدل بنسب متفاوتة؛ لأنهم إنما يحاولون نقد قول أو تأييد رأي أو الدفاع عنه ونحو ذلك.

- أما إلى بناء الخطاب الحجاجي، فقد جعل أرسطو المكونات التّصية للخطاب أو أجزاء الخطاب الرئيسية ثلاثة.

أ- الإيجاد: الحجج، مصادر الأدلة.

ب- الترتيب: وضع هذه الأدلة في مواضعها على امتداد الخطاب حسب نظام معين.

ج- الأسلوب: (العبرة، الصياغة)، وضع الحجج في شكل قول على مستوى الجملة.²

أي يمكن أن نستخلص حسب مقولات أرسطو عناصر الخطابة متمثلة في النقاط المذكورة نلخصها فيما يلي:

- عنصر الإقناع أو البراهين.

- الأسلوب أو التنظيم.

- ترتيب أجزاء القول.

إلا أن أرسطو في خطابه كان لا يهتم من لغة النص والخطاب إلا ببعض المظاهر المساعدة وبالقدر الذي حدده هو.

¹ - حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، م.س ص 12.

² - ينظر: محمد العمري، الخطابة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1999، ص 273.

وقد انطلق أرسطو من كون البلاغة / الخطابة إنما هي: "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع"¹ وهذا الإقناع يتوقف على ثلاثة أركان: الأيتوس، الباتوس، اللوجوس، وقد قال في هذه المكونات الثلاث: أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات، والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول.²

وإن مقارنة في تعريف الخطابة بين السوفسطائيين وأفلاطون وأرسطو كفيلة بأن تكشف عن كثير من المسائل الحجاجية التي يعولون عليها في مخاطبتهم، فهي عند السوفسطائيين "صناعة إقناع" وعند أفلاطون "صناعة قيادة النفوس بالقول"، وهي عند أرسطو "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"، وإن هذه التعريفات تكشف لنا الاختلاف فيما يدعو إليه كل طرف.

فكلمة إقناع لم ترد في تعريف أفلاطون، ووردت في تعريف السوفسطائيين، وأرسطو، على ما بين هذين الأخيرين من تباين في الغاية، وقد وردت بدلا منها "قيادة النفوس"؛ "أفلاطون لا يهتم من الحجاج كسب القضية أو إحراج الخصم أو تحقيق نجاح، وإنما يهتم بتحقيق الفضيلة للنفس".³

2- الحجاج في التراث الثقافي العربي:

اختلفت ظروف نشأة البلاغة عند العرب اختلافا جذريا عن اليونان، ففي حين نشأت عندهم نشأة فلسفية منطقية، تحاول تصنيف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة - كما عند أفلاطون - أو في مجال اختلاف الآراء، أين يواجه الرأي بالرأي المضاد - كما عند أرسطو - ولا تكون الكلمة الأخيرة إلا لمن كانت حجته أكثر إقناعا و أوضح في نفس السامع، نجد البلاغة العربية نشأت في أحضان الشعر والشعر فضله في صورته و شكله وما يتوفر عليه من طرق القول، وأساليب التعبير التي يمكن على أساسها أن تحدد خصائص نص معين أو نميز بين نص ونص آخر.

¹ - أرسطو: م.س، ص 29.

² - م.ن، ص 181.

³ - علي محمد علي سليمان: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج ص 37.

والحجاج عند العرب يضرب بجذور قوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور الذي لعبه في الحياة العقديّة والسياسية في البيئة العربية الإسلامية، علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي. كما شغل الحجاج بعض القدماء جنسا خاصا من الخطاب، ويمكن الوقوف على محاولة "أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" في دراسة الحجاج و"أبي الحسن إسحاق بن وهب" و"حازم القرطاجي".

2. 1- التفكير الحجاجي عند الجاحظ:

التفت الجاحظ في عدة مواضع من كتبه إلى الحجاج والمسائل الحافلة به، فمن ذلك قوله: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة وقوله في موضع آخر "كان سهل بن هارون يقول: سياسة البلاغة اشد من البلاغة".¹

والمأمل في مسرد تعريفات البلاغة التي أوردها الجاحظ في "البيان والتبيين" يقطع من غير شك أن البلاغة هي الحجاج، وذلك أن كل حد من هذه الحدود التي عرض لها الجاحظ تتناول قضية من قضايا الحجاج الكبرى، وآلية من آليات اشتغاله في الخطاب: الفصل والوصل، وتصحيح الأقسام والبصر بالحجة، والتماس حسن الموقع إلى غير ذلك من القضايا.

ومعلوم أن غاية الحجاج هي استمالة القلوب، وقد أحاط الجاحظ هذه الغاية بالخلق الإسلامي الذي يضمن عدم انحرافها عن الحق والصدق، حتى لا تستغل الوسائل الحجاجية في تحقيق هذه الغاية بصورة مخادعة، فيتوهم صدق القضية وهي كاذبة فلا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعمل الموارد.²

وفي هذا الجو الجديد يظهر الجاحظ مدافعا عن الحوار وثقافته ومحاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع أساسها مراعاة أحوال المخاطبين.³ كما اهتم الجاحظ بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص 88.

² - م.ن.، ج1، ص 197.

³ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 209.

بيانية حجاجية، ويمكن استخلاص بعض آراءه في ضوء القول الخطابي الحجاجي، خاصة من خلال كتابه "البيان والتبيين" فيما يلي:

أ- أراجع الجاحظ وظائف البيان إلى ثلاثة وظائف أساسية:

- 1- الوظيفة الإخبارية المعرفية: (حالة الحياد) وفيها يتم إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.
- 2- الوظيفة التأثيرية: (حالة الاختلاف) وفيها يتم تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.
- 3- الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) وفيها يتم إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار، وقد كان تركيزه على الوظيفة التأثيرية.

ب- تناول الجاحظ قضية جوهرية في الخطاب الحجاجي وهي قضية المقام الخطابي، إذ يرى أنه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار الحالات".¹ فهو في الأول أراد أن يبين بأن لكل طبقة معينة في المجتمع حسب المستوى التعليمي أو الوظائف، يجب أن يراعى فيها المعنى المتكلم به، فلكل طبقة معجمها الخاص والذي لا بد أن يراعيه المتكلم، أما حديثه عن أقدار الحالات فيتصرف إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحداً، ولكن تختلف المناسبة فتختلف لذلك المعاني. ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالنزعة الحجاجية انتمائه المذهبي إلى المعتزلة، وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم، ولا شك أن اجتهادات الجاحظ وتصورات النظرية الخاصة بالحجاج لها أهميتها في حدود السياق الزمني الذي قيلت فيه "القرن الثالث الهجري"، إلا أنها مجرد تصورات جزئية، لا ترتقي إلى مستوى النظرية المتكاملة، أو إلى مستوى مشروع نظرية.²

ونكتفي بهذا القدر حول رؤية الجاحظ البيانية الحجاجية والتي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدراسات البلاغية العربية، وقد تم تناولها في مصنفات بعد الجاحظ، لكن تناوله له وإن كان مشتتا ضمن البيان إلا أنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية، وهكذا فقد بدأت تتبلور في الدراسات العربية وفي وقت مبكر بلاغتان، إحداهما شعرية والأخرى تداولية حجاجية.

¹ - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 213.

² - هدى وصفي: في فن الحجاج والجدل، دار الهاني للطباعة والنشر القاهرة، د.ط، 2002، ص 63.

لقد كان تأليف الجاحظ لكتاب "البيان والتبيين" بمثابة وضع أساس البيان العربي الذي يعتبر من مؤسسيه، وإظهار مقدرته البلاغية وعرض ما في جعبته من أساليب البيان والبلاغة، وقد أجمع المتقدمون من أكابر العلماء والأدباء، على أن كتاب البيان والتبيين من أفضل ما وضع في الأدب والبلاغة، ومن أهم المؤلفات الذي أضاف للثقافة والتراث العربي.¹

2. 2- التفكير الحجاجي "عند ابن وهب":

أمّا التفكير الحجاجي عند ابن وهب الكاتب، فنجد أنه قد قدم في كتابه "البرهان في وجوه البيان" هذا الكتاب الذي عدّه د. محمد العمري أكمل قراءة لتصورات الجاحظ، وقد قدم فيه ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة. من خلاله يمكن تلخيص فكره في هذه القضية؛ "إذ جعل منه خطابا تعليليا إقناعيا، وميّز بين أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم، كما تحدث في مبحث من مباحثه حول "أدب الجدل"، واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المحاجج:

- ألا يقبل إلا بالحجة، ولا يردده إلا لعله.²
- أن يحلم الجادل عما يسمع من الأذى والنبر.
- وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله.
- ألا يعجب برأيه، وما تسوله له نفسه.
- أن يكون منصفًا غير مكابر، وأنه يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصده بقوله وحجته.
- ألا يستصغر خصمه ويستهيئ به.³

¹ - ينظر: محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ص115.

² - حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1431هـ / 2010م، ص9.

³ - أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د.ت، ص176.

نفهم من كلام "ابن وهب" أنه وضع الحجاج تحت اسم الجدل، فهو يقع في العلة من بين سائر الأشياء، وينبغي للمجيب أن يقنع ويكون إقناعه الذي يوجب على السائل القبول. وأن تقسيمه للجدل كان على أساس تصنيفات أخلاقية، ميز فيه بين الحمود والمذموم، "فأما الحمود، فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، واما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة".¹

كما بين أيضاً أن العلماء وذوي العقول من القدماء قد اهتموا بقيمة الاحتجاج وإقامة الحجة، حيث قال: "وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته، ويين عن حقه، وقصر عن القيام بحجته".²

2. 3- التفكير الحجاجي عند حازم القرطاجني:

أما حازم القرطاجني فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في "التخيل والإقناع" من خلال مؤلفه "منهاج البلغاء، وسراج الأدباء" أنه أورد الحجاج على أنه من أوجه الكلام، إذ يقول: "لما كان كل كلام يحتل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال".³ فنفهم من كلامه أنه يميز بين نوعين للكلام بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال،

كذلك تميزه بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التمويهات والاستدراجات، وهما من الإستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع، يقول حازم القرطاجني في ربطه التمويهات بالاستدراجات: "التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتماد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون مع أنه على غيره ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتدائها"⁴

¹ - أبو الحسن إسحاق بن وهب: م.س.ص 176.

² - م.ن.، ص 177.

³ - حازم القرطاجني: م.س.ص 63.

⁴ - م.ن.، ص 64.

وفي تمييزه بين هاتين الاستراتيجيتين يقول: "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطافه له بتزكيتة وتقريظه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول".¹

ومن طرق تحقيق التمويهات عند "حازم القرطاجني" ما يلي:

- طي محل الكذب من القياس عن السامع.
- اغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهاها بما يكون صادقا.
- ترتيب القياس على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهاه بالصحيح.
- إلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من التعجبات، تشغل النفس عن ملاحظة الكذب والخلل الواقع في القياس.²
- هناك عوامل متعددة ساعدت على تطور الحجاج في التراث الثقافي العربي أو بصفة أدق ساعدت على تطور البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها، لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازا، ولقد لعبت المؤثرات الأجنبية دورا لا يستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه وفتحه على المجالات والحقول المعرفية المجاورة، وقد كان لحضور المؤثر اليوناني دور بارز من خلال القراءات التي تناولت كتب "أرسطو" بالترجمة والشرح، و تجليات ذلك التأثير في المصنفات العربية بدءا من "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ووصولاً إلى "منهاج البلغاء" للقرطاجني، و"عقود الجمان" للسيوطي³
- وقد بدأ من خلاله الوعي بمفهوم الحجاج، وساعد ذلك في بروز بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحجاج.

المبحث الرابع: الحجاج في الفكر الحديث:

1- الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة:

¹ - : حازم القرطاجني: م.س.ص.64.

² - م.ن.، ص 64 - 65.

³ - محمد سالم محمد أمين: م.س، ص 209.

بعد أن تطرقنا إلى جهود القدامى، ونظرتم إلى الحجاج التي تجسدت عندهم بين الجدل بنوعيه والمناظرة والخطابة، فهذا الموروث القديم قد أعطى نظرة عامة، إن لم نقل كان بمثابة الركيزة الأساسية التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصرة.

نجد أن الدراسات المعاصرة عند الغرب قد نالت نصيبا عند ثلة من الباحثين اللذين أسهموا بشكل كبير في تقمص نظرة جديدة للدرس الحجاجي، وهذا استنادا للدرس الحجاجي أو بالأحرى الحجاج الأرسطي، الذي يعد يعد الانطلاقة الأساسية للحجاج. لقد تعددت الأسماء في هذا الحال، ولكن سوف نقتصر على أهم الباحثين فقط من أمثال: تولمين وبييرلمان وأوزفالد ديكر.

1. 1 الحجاج عند تولمين Taulmin:

جاء مفهوم الحجاج عند الفيلسوف الأمريكي Stephen Toulmin من خلال كتابه "استعمالات الحجاج" (Les Usages de l'Argumentation) محاولا تحقيق هدفه بإعطاء الحجاج سمة عقلانية وإكسابه مظهرا منطقيا، حيث يتحدد الحجاج لديه في كونه حججا منطقيا يستند على المنطق لتنظيم الحجج في الوظيفة التعليلية باعتبار التعليل هو الوظيفة الأساسية للحجاج، وما عداه من استعمالات ووظائف ثانوي ومشوش¹.

لقد اتخذ "تولمين" من نظرية القانون نموذجا لهذا المنطق، ويرى أنه يمكن أن نقارن الحجاج بالمحاكمة، والحجج بالحجج، والإثباتات خارج السياق القانوني بالادعاءات المعروضة في المحكمة. وإذا كان من بين هذه المهام الأساسية لنظرية القانون وصف الإجراءات التي تطلب بها عدالة أو تناقض أو تقرر، ووصف المقولات التي يخضع لها إنجاز كل هذه الأشياء، فإن البحث سينصب على وصف ما يمكن تسميته بالمحاكمة العقلانية، وعلى الإجراءات والمقولات التي يمكن استغلالها في تعقيد كل صنف إثباتي أو الدفاع عنه.²

¹ - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار النشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،

المغرب، ط.1، 2005م، ص 61.

² - م.ن. ص 60.

يقول "تولن" في هذا الشأن: ميزة الموازنة بين المنطق وبين نظرية القانون، أنها تساهم في مركزة الوظيفة النقدية للعقل، لأن قواعد المنطق تطبق على الناس وعلى حججهم كمتايير امتياز، يلجأ إليها الفرد حين يحاج، وعلى ضوءه تقوم حججه، وقد تقدم لدعمها عناصر تبريرية تشبع المتايير المكتسبة، وفي هذا التصور نجد كثيرا من المصطلحات القانونية امتدادها الطبيعي.¹

يمكن لنا أن نستخلص مفهوم الحجاج عند "تولن" من الرسوم الحجاجية المختلفة التي صاغها في كتابه "استعمالات الحجاج"، والتي ترجمها عبد الله صولة في كتابه الحجاج في القرآن الكريم.²

الرسم الأول: وفيه نجد الرسم الحجاجي ذا ثلاثة أركان أساسية هي:

المعطى (م) والنتيجة (ن) والضامن (ض)، ويصاغ نظريا على النحو التالي:



نظرا إلى أن:

(ض)

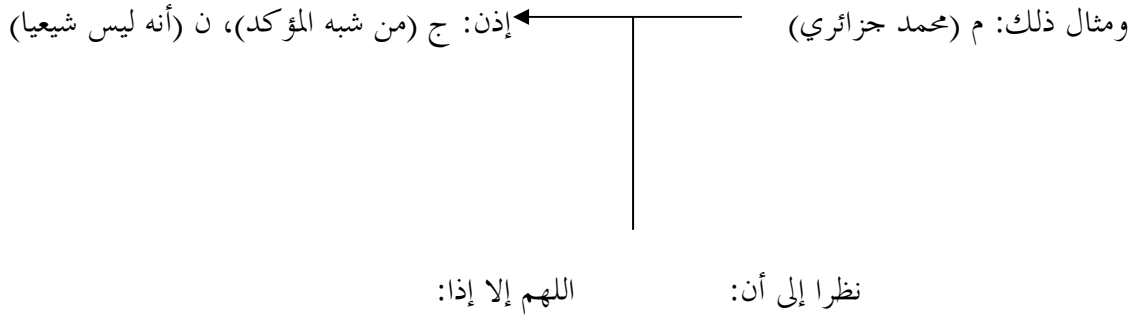
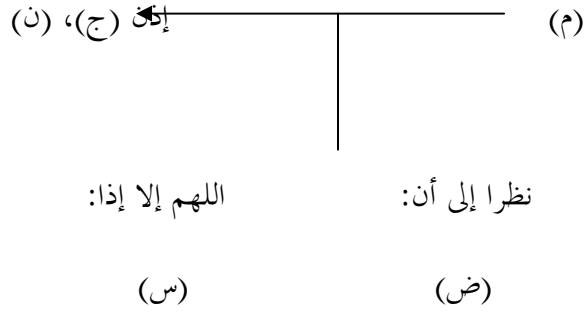
والمثال عليه: (محمد جزائري) ← ن: ن (هو ليس شيعيا)

نظرا إلى أن: ض (أغلبية الجزائريين المطلقة ليسوا شيعة)

الرسم الثاني: وهو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف إليه عنصران هما: عنصر الموجه، ويصطلح عليه بـ (ج) وعنصر الاستثناء (س)، الذي يمثل شروط رفض القضية فيصبح كالتالي:

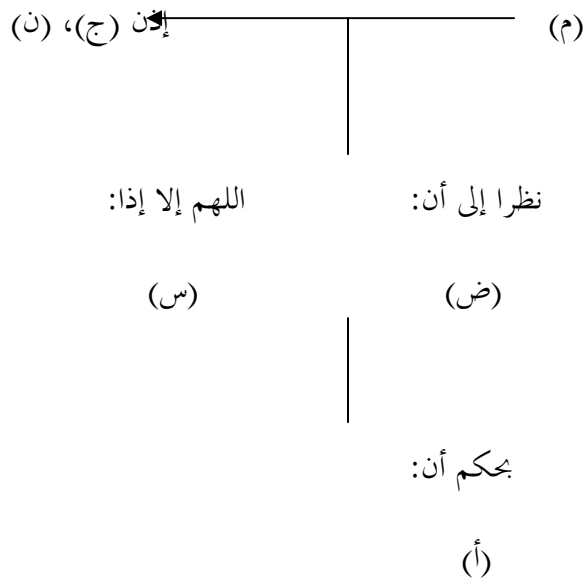
¹ - محمد طروس: م.س.ص.ص.60.

² - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س.، ص 23 - 25.



س (تشيع أثناء دراسته بجامعة إيران)

الرسم الثالث: وفيه مزيد من التدقيق بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يبنى عليه الضمان (ض)، فيكون الرسم كالاتي:



والمثال عليه: م (محمد جزائري) ← إذن: ج (من شبه المؤكد)، ن (أنه ليس شيعيا)

نظرا إلى أن: اللهم إلا إذا:

من (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة) س (تشيع أثناء دراسته بجامعة إيران)

بحكم أن:

أ (نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر)

يبين عبد الله صولة أن أهم الأركان في هذه الرسوم الحجاجية هي: المعطى (م) والنتيجة (ن) والضامن (ض)، وفرق ما بين المعطى والضمان، إن المعطى يكون مصرحا به (Explicité)، في حين يكون الضمان ضمنيا (Implicité) كما يرى تولمين نفسه، وهو شكل حجاجي تخضع له جمل كثيرة في القرآن حسب رأي صولة¹.

لكن الالفت للانتباه في نموذج تولمن الحجاجي، أنه أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق أكثر منه إلى الإقناع، هذا إذا اعتبرنا أن الحجاج يرمي دائما إلى إقناع الغير، بينما البرهان يقصد به إثبات الحق لإقناع الغير، وإنما لإقناع المرء نفسه، وتلك هي الطريقة المتوخاة في البرهان، على عكس سائر الصناعات المنطقية التي يراد بها عادة إقناع الغير، فهي من الحجاج بسبيل².

إن هذا يفسر لنا غياب ركن الجمهور في رسوم تولمين المعروضة، ومعلوم أن الجمهور قوام الحجاج (حسب رأي صولة)، وإن كان من الممكن أن نستشف وجود صوت المتلقي المحتمل يعترض ضمنيا على "م"

¹ - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، ص 25.

² - م. ن. ص 26.

"ن" فكأنه من أجل ذلك جيئ بالأركان: ض، ج، س، لتثبت الحقيقة، ولكن هذا المتلقي المحتمل قد يكون المتكلم ذاته يخاطب نفسه ويحاول إقناعها.

والظاهر أن تولمين قد تجاوز فيما بعد تعريف الحجاج على هذا النحو معتبرا إياه لا مجرد تابع للقضايا من قبيل ما كنا نرى، بل تفاعلا بين الأطراف المسهمة في المحادثة، فهو إذن حوار وليس مناخاة.¹

1. 2 الحجاج عند بيرلمان:

من بين أهم الكتب التي اشتهر بها بيرلمان في الحجاج، وهو كتاب "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" أو "Traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique" وهذا المؤلف المشترك مع تيتيكا الهدف منه هو إخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل الذي ظل لفتترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه.²

لذلك حاول فيه الباحثان إعادة صياغة مفهوم الحجاج، على عكس المفهوم الذي كان شائعا عند أرسطو، فبعد أن كان الحجاج عند هذا الأخير مرتبطا بالخطابة والجدل وبصرامة المنطق، ربط الباحثان الحجاج بالحوار والحرية والعقل، لذلك فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتيادية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره.³

والحجاج الذي امتاز بمناورة السفسطائيين في عهد أرسطو وأفلاطون، تمكن من الاستحواذ على العقول من خلال التملق بالكلام، وبالتالي الوصول إلى السلطة، في حين أن حجاج بيرلمان يمنح الحرية للمستمع

¹ – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س. ص. 27.

¹ – Chaim Perlman et Lucie Colbachs – Tyteca, 1992, traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique, préface de Michael Meyer, 5eme édition, édition l'université de Bruxelles, p6.

³ – عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 298.

وفيكه من قيد الاستدلال الذي يضعه رهينة الخضوع والاستسلام ليختار بنفسه الحقيقة شريطة أن يستخدم عقله في هذا الاختيار ولا يخرج إلى اللامعقول.

يحدد "بيرلمان" وزميله "تيتيكا" مفهوم الحجاج في كتابهما هذا بقولهما إن "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يحرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"¹ وفي موضع آخر من هذا الكتاب يبين الباحثان الغاية من الحجاج، حيث إن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأجج الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازة أو الإمساك عنه) أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة².

ومن خلال التعريفين يتبين لنا أن الهدف من الحجاج ليس فقط الإقناع الفكري، بمعنى تقبل العقل لما يطرح عليه، بل يهدف أيضا إلى الحث على الفعل أو على الأقل الاستعداد لهذا الفعل، ونجد أن بيرلمان في كتابه "إمبراطورية البلاغة" قد ذكر هذه الوظائف للحجاج التي هي: الإقناع الفكري الخالص، الاستعداد لتقبل أطروحة ما، الدفع أو الحث على العمل، وهذا يدل على أن الحجاج يهدف إلى التأثير ثم العمل، حيث إن هذا التأثير ناتج من خلال استخدام العقل والإدراك لما يحيط بالمتلقي من حجج، أي تأثير ناتج من إرادته وليس تأثيرا ناتجا من الإكراه أو المناورة كما عند السفسطائيين.

وقد علق على هذا التعريف الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه "البلاغة والاتصال" فقال: "يسعى كل واحد منهما إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد، أو بضاعة في سياق من الحرية، لا باستخدام حد السيف، فلم يعد أمام هذه التيارات إلا استخدام حد الخطاب، خطاب التأثير والاستمالة وشاع هذا الخطاب وازدهر إلى حد يسمح، كما يقول بيرلمان بأن نطلق على القرن العشرين قرن الترويج والدعاية"³.

¹ - عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، م.س. ص. 299.

² - م.ن.

³ - جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، مصر، د.ط، 2000م، ص. 115.

أما غاية الحجاج عند بيرلمان، فقد حددها بقوله: "تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة، وتفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنها من آثار".¹ كما قسم الحجاج بحسب نوع الجمهور إلى نوعين هما:

الحجاج الإقناعي: وهو حجاج يرمي إلى إقناع جمهور خاص.

الحجاج الاقتناعي: وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام وهو النوع الذي ركز عليه لكونه عقليا، ويعتبرونه أساس الإذعان والحجاج ويحدث بين الاستدلال والإقناع.²

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها بيرلمان وزميله تيتيكا في دراستهما الحجاج فيما يلي:

1- إن أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تحليل الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة بخاصة عند أرسطو.

2- تحليل الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المحددة، وقرباه من مجالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية والفلسفية والقانون، ومن ثم فتح مجالات للحجاج وتحليله من النظرية الضيقة التي جعلته أداة تقنية صرفة.

3- اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل، كما رأينا عند أرسطو، فهو حوار بين الخطيب وجمهوره، ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعبا بالمشاعر والعقول.

4- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

5- العملية الحجاجية عملية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الإقناع.³

لقد حاول المؤلفان - من خلال كتابهما - إعادة الاعتبار لمجال الحجاج وتبرئته من جهة من تهمة المناورة والمغالطة والتلاعب بعواطف الجمهور وعقله أيضا، وتحليله من جهة ثانية من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب، فالحجاج عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين

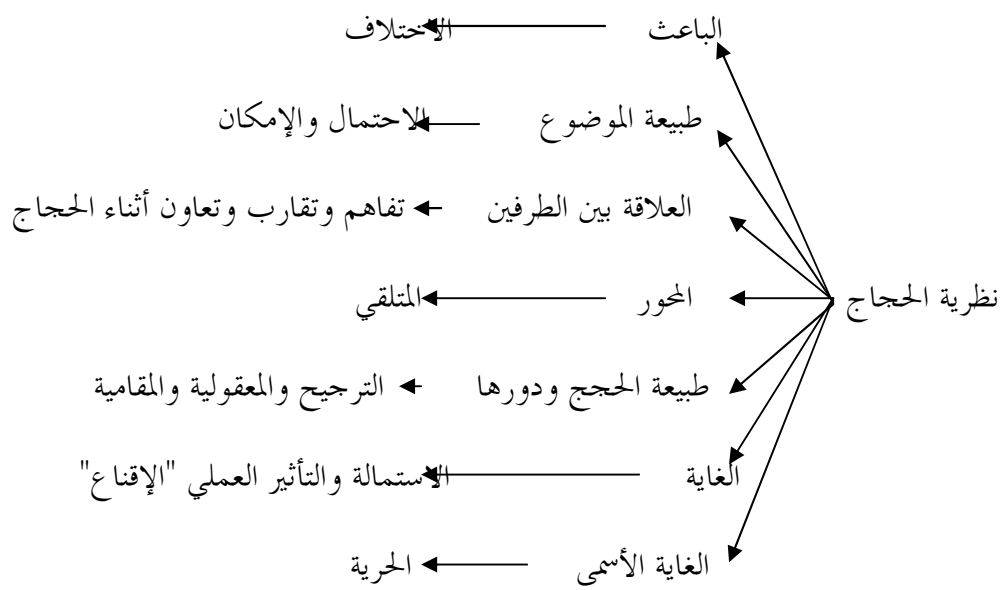
¹ محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط.1، 2005م، ص.44.

² ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، م.س.ص.301.

³ محمد طروس: النظرية الحجاجية، م.س.، ص.44.

الأطراف المتحاورة في جو من الحرية والمعقولة، أي إن التسليم برأي الآخر يكون بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى هذا أن الحجاج، بوصفه حوارا ينبذ العنف، أضحي له مكان خاص إلى جانب البرهنة والإقناع، ومن ثم أصبحت له خصائص تميزه عنهما.¹

والمخطط الآتي يوضح نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:²



وقد حدد بيرلمان - من خلال هذا التصور - تميز الحجاج بخمسة ملامح رئيسية:³

- 1- أن يتوجه إلى مستمع.
- 2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3- مسلماته وبديهياته لا تعد كونها احتمالية.
- 4- ألا يفتقر تقدمه وتناميته إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- 5- ونتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية).

¹ - حافظ إسماعيلي علوي: م.س. ج3 ص344.

² - جميل عبد الحميد: م.س.، ص 111

³ - محمد سالم الأمين الطلبة، م.س.، ص108.

إن هذه الملامح المتعلقة بالحجاج عند بيرلمان تبرز بعض المميزات التي يجب توفرها في الخطاب الحجاجي، إلا أنها غير كافية لإبراز الطبيعة والبعد الحجاجي أثناء التخاطب، على اعتبار أن الحجاج استراتيجية لغوية تكتسب بعدها من سياق الخطاب، أي إن دور المقام والأحوال المصاحبة للخطاب غير جلي في هذا التصور.

أما مكونات الحجاج وعناصره فهي: المتكلم والمستمع والمقام، بالإضافة بطبيعة الحال، إلى الخطاب (النص)، بوصفه المادة التي يترجم فيها مقاصد وأغراض المتكلم، هذه العناصر تندرج مع بعضها البعض كمكونات لهذا الخطاب، وتتفاعل مع بعض لتحقيق النجاعة، والتواصل في العملية الحجاجية، وأما الأساليب والتقنيات فتتلخص في كل الوسائل اللغوية والبلاغية والمنطقية التي يتوصل بها الخطاب إلى الإقناع والإذعان، ويحصرها بيرلمان وتيتيكا في تقنيتي الوصل والفصل.¹

1. 3 الحجاج عند ديكرو:

إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو (O.Ducrot) منذ سنة 1973م نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من فكرة مفادها: "أنا نتكلم عامة بقصد التأثير".

هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها.²

لقد تحدث ديكرو عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع زميله أنسكومير (Anscombe) المعنون بـ "l'argumentation de la langue" "الحجاج في اللغة" والعكس صحيح، إذ يقولان في هذا الصدد:

¹ - ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، م.س.، ص.324.

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط.1، 1426هـ، 2006م، ص.14.

"إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً ق 1 (أو مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق 2 (أو مجموعة من الأقوال)"¹

وفي الحقيقة لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرتو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند أوستين وسورل قد واجهتها صعوبات عديدة (عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلاً)، فقد قام ديكرتو بإعادة تعريف مفهوم التكليين أو الإنجاز (L'illoctoire) مع التشبث دائماً بفكرة الطابع العرفي (Conventionnel) للغة، وهو يعرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات. ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطاً معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره

الحجاج مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب. ونوضح هذا بالأمثلة التالية:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.
- الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع.
- عليك أن تجتهد لتنجح.²

إذا نظرنا في هذه الجملة، فسنجد أنها تتكون من حجج ونتائج، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة، فالتعب مثلاً في الجملة الأولى يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها، فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح ويستريح، ونقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى فجمال الجو يدعو ويدفع إلى التنزه ويعتمده المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى التنزه، أو بالذهاب إلى شاطئ البحر

¹ - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم م.س، ص.33.

² - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج م.س، ص. 15-17.

أو إلى حديقة عمومية للتحويل فيها من أجل الترويح عن النفس والاستمتاع بجمال الطبيعة، فالتكلم يقدم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة.

و نشير إلى أن مفاهيم الحجة والنتيجة كانت في التصور السابق الذي نجده عند ديكر، وخاصة في كتابه "السلميات الحجاجية" عبارة عن أقوال، أما في التصور الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإن هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة ومجردة. فالحجة حسب هذا التصور الجديد عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترى في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك، والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن أن نبين ذلك على الشكل التالي:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب.
- أنا بحاجة إلى الراحة.¹

فإذا قارنا بين هذه الأقوال، فسنجد أنه تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول، وتم التصريح بالحجة والنتيجة واضمر الرابط في المثال الثاني، أما المثال الثالث، فلم يصرح فيه إلا بالحجة والنتيجة مضمرة، يتم استنتاجها من السياق، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع، حيث ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة، وتتسم الحجج اللغوية بعدة سمات، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- **أها سياقية:** فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيِّره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة أو تكون غير ذلك بحسب السياق.

¹ - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج م.س، ص 18-19.

- **أما نسبية:** فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية، والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

- **أما قابلة للإبطال:** وعلى العموم، فإن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدرجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.¹ إن ديكرود يفرق بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، والحجاج موضوع النظر في التداولية المدججة، وهو بالمعنى الثاني.²

1- الحجاج بالمعنى العادي: ويعنى به طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع (أو المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبه للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.³

2- الحجاج بالمعنى الفني: يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية أن تكون درجية (salaire) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصله بين سلام.⁴

إن اللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند (ديكرو) وسيلة مجالية في جوهرها ومسرح لظهور المقتضى، باعتباره شكلا من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة فيها، يقول في هذا الصدد: ليس المقتضى حدثا بلاغيا مرتبطا بالقول، وإنما هو منغرس في اللغة نفسها، وهو ما يدعوننا - ضرورة - إلى أن نعتبر اللغة بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة مسرح محاورة ومواجهة بين الذوات البشرية.

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج م.س. ص 19 - 20.

² - صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط.1، 2008م، ص.15.

³ - م.ن.، ص.21.

⁴ - م.ن.، ص 21 - 22.

ومعلوم أن المقتضى باعتباره أداة حجاج ناجعة، يحصل في رأي (ديكرو) من التركيب، وهو أمر بديهي، ولكنه يحصل في رأيه أيضا من الكلمة، أما وظيفة الحجاج عندهما تكمن في التوجيه، حتى إنهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه، ويحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع، ومستوى الخطاب، خاصة مع ما بين المستويين من تداخل، والآية في توجيه السامع أننا حين نتكلم إنما نروم في العادة التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملا ما أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك...¹

إن أهم مأخذ قد يعيب هذه النظرية حصر صاحبها دلالة الملفوظ في "التوجيه" والرأي أن دلالة الكلام (وحتى الكلمة) ليست الدرجة فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نقفها منها دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه، وتفيض عنهما، ونسمي ذلك الجزء من دلالة الكلام (أو الكلمة) "الدلالة الحجاجية"، أو المعنى "المعنى الحجاجي"، أو "الطاقة الحجاجية"، أو "العمل الحجاجي"، أو "الوظيفة الحجاجية"، وإن اختلفت ربما معاني هذه التسميات.²

وقد لخص محمد طروس أهم الأفكار الواردة في التداوليات المدججة عند ديكرو وانسكومبر وهي

كالآتي:

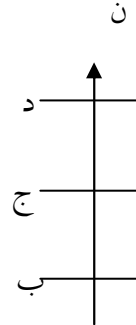
- استقلال المقول عن المحتوى الخبري، ومن ثم عدم الحكم عليه بالصدق أو بالكذب، لأنه لا تنطبق عليه شروط الصدق، ومنه أصبح الحكم عليه يستند إلى القوة والضعف التي تحكم علاقة الحجج ببعضها البعض.
- سيندمج التداول في الوصف الدلالي، ويشغل مباشرة على البنية التركيبية فيسمى "بالتداوليات المدججة" والوصف الدلالي آلة لها الكفاءة نفسها التي للدوات المتكلمة، تربط المعنى بالقول، وتصور لنا الحدث اللساني باعتباره امتدادا للذاتية، غير أن نظرية التداولية المدججة ارتبطت بالسلام الحجاجية والروابط والعوامل الحجاجية.³

¹ - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س. ص. 35 - 36.

² - م.ن. ص. 36.

³ - محمد طروس: النظرية الحجاجية، م.س.، ص. 106-107.

السلم الحجاجي: هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:



ن = النتيجة "ب" و "ج" و "د": حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي فئة حجاجية موجهة، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

- أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة لـ "ن".
- ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

1- حصل زيد على الشهادة الثانوية.

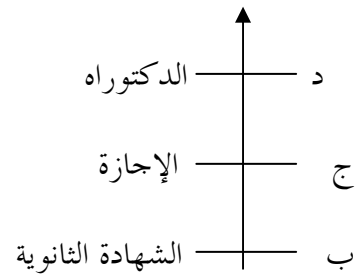
2- حصل زيد على شهادة الإجازة.

3- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججاً تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية"، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد، وعلى مكانته العلمية، ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:¹

ن = الكفاءة العلمية

¹ - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج، م.س.، ص 20-21.



قوانين السلم الحجاجي: وأهم هذه القوانين ثلاثة:

أ- قانون النفي:

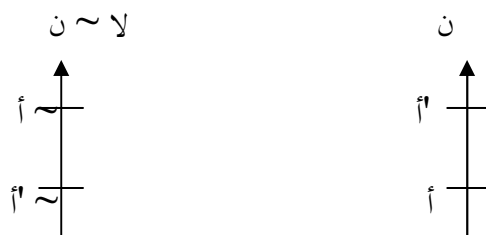
إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي ~ أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى، فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن"، فإن "~ أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا - ن" ويمكن أن تمثل لهذا المثالين التاليين:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

ب- قانون القلب:

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تكميما للقانون، ومفاد هذا القانون، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، وبعبارة أخرى إذا كان (أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة "ن"، فإن (~أ) أقوى من (~أ) بالقياس إلى (لا - ن)، ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحججتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، ويمكن أن نرمز لهذا بواسطة السلمين الحجاجيين التاليين:¹



¹ - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج م.س. ص. 21-22.

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
 - لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.
- فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.
- وهذا يفسر لنا أيضا لحن الجملتين التاليتين، أو شذوذهما وخرابتهما على الأقل:

- * حصل زيد على الدكتوراه، بل حصل على الماجستير.
- * لم يحصل زيد على الماجستير، بل لم يحصل على الدكتوراه.

ج- قانون الخفض:

يوضح قانون الخفض (loi d'aissement) الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة (moins que)، فعندما نستعمل جملا من قبيل:

- الجو ليس باردا.
 - لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.
- فنحن لم نستبعد التأويلات التي أن البرد قارس وشديد أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل، وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.
- وسيؤول القول الثاني كما يلي:
- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.¹

¹ - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج م.س. ص. 23-24.

و تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط "الجو بارد") والأقوال المنفية (من نمط "الجو ليس بارد") في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.

– الروابط والعوامل الحجاجية:

لما كانت اللغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطائية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا: تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لا سيما، إن، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما... إلا... إلخ.

إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وانسكومير إلى رفض نموذج شارل موريس والدفاع عن فرضية التداوليات المندجة (La pragmatique intégrée) وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها.¹

لقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي، فإذا كان هذا الأخير يصف الأداة "Puisque" بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم "أ" فقط، ويصف "Mais" بأنها تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها، فإن الوصف الحجاجي لهذين الرابطين هو كالتالي: يسلم المخاطب ب "ب"، وبالإحالة على استلزام "ب" لـ "أ"، فإن عليه أن يقبل "أ" وبالنسبة لـ "لكن / Mais" تميل إلى أن نستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك، لأن "ب"، وهي صحيحة مثل "أ"، تقترح النتيجة المضادة، أما بالنسبة لـ "حتى" "Même" فليس دورها منحصر في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيئ زيد غير متوقع)، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة

¹ – أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج م.س. ص. 24-26.

جديدة، أقوى من الحججة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكم بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحججائية.¹

***أنماط الروابط الحججائية ومعايير تصنيفها:**

تصنف الروابط الحججائية وفق مجموعة من المعايير، يتمثل أهمها فيما يلي:

***معيار وظيفة الرابط:**

يحدد هذا المعيار الروابط المدرجة للحجج والروابط المدرجة للنتائج و ذلك كما يلي:

- الروابط المدرجة للحجج: تتمثل وظيفة هذا الرابط في إيراد الحججة، وتمثلها المورفيمات: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن... إلخ.²

إنّ الرابط "حتى" في الملفوظ "قضاء العطلة في الجزائر شيء مغر، الجو فيها جميل، وفضلا عن مآثرها فحتى شواطئها رائعة" جاء مقترنا بالحججة "شواطئها جميلة".

- الروابط المدرجة للنتائج:

تتمثل وظيفة هذا الرابط في إيراد النتيجة، وتمثلها المورفيمات: لإذن، لهذا، وبالتالي... إلخ

إنّ الرابط "مع ذلك" في الملفوظ "أنا متأخر" مع ذلك سوف لن أركب الحافلة جاء مقترنا بالنتيجة "سوف لن أركب الحافلة".

- معيار العلاقة بين الحجج:

يحدد هذا المعيار نمطين من الروابط استنادا إلى العلاقة بين الحجج ممثلة في الآتي:

- روابط التعارض الحججائي:

¹ O. Ducrot, les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, 1980, p.16, 17.

² - رشيد الراضي: الحججائيات اللسانية، مقال ضمن كتاب: الحجج، مفهومه و مجالاته، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب

الحديث، إربد، الأردن، ج2: مدارس واعلام، ط.1، 1431هـ / 2010م، ص.236.

وهي مجموع الروابط التي تربط بين الحجج المعارضة / المتعاندة، وتمثلها المورفيمات: بل، لكن، مع ذلك... إنَّ الرابط "لكن" في الملفوظ "زيد ذكي لكنه مهمل" قد ربط بين حجتين متنافرتين "زيد ذكي" و "زيد مهمل".

- روابط التساوق / التساند الحجاجي:

وهي مجموع الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة وتمثلها المورفيمات: حتى، لاسيما... إنَّ الرابط "حتى" في الملفوظ "زيد لا يتقن السباحة والرماية وحتى ركوب الخيل" قد ربط بين حجج متنافرة هي على التوالي: "يتقن السباحة" و "يتقن الرماية" و "يتقن ركوب الخيل".¹

- معيار عدد المتغيرات:

وهي المتغيرات الحجاجية التي تربط بينها الرابط الحجاجي، ويكون هذا الأخير إمّا محمولاً ذا موقعين أو ذا ثلاثة مواقع.

فأمّا الرابط ذو الموقعين فإنَّ أهم ما يميزه هو أن المتغيرين اللذين يربط بينهما يؤديان وظيفة الحجة أو النتيجة، ولا يتوقفان على إدخال مكون ثالث في صورة مضمرة، ليلعب هذا الدور (دور الحجة أو النتيجة)، ومن أمثلة هذا النوع من الروابط: مادام، لأن، إذن في الأمثلة التالية: "أسرع، ما دمت تريد الوصول باكراً"، "تمهل، لأنّ في السرعة مخاطر جمة"، "الجو ممطر إذن سأبقى في المنزل" وأمّا الرابط ذو ثلاثة مواقع فيمثل المثل الآتي:

قضاء العطلة في الجزائر شيء مغر، الجو فيها جميل، وفضلاً عن مآثرها فحتى شواطئها رائعة.

- العوامل الحجاجية **Les Opérateurs Argumentatives**:

أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي لأول مرة في مقاله المعنون بـ "Nate sur l'argumentation et l'acte d'argumenter"

المنشور سنة 1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983 والذي حمل عنوان:

"Opérateurs argumentatives et visée argumentative"

¹ - رشيد الراضي: م.س. ص. 236.

- مفهوم العامل الحجاجي ووظيفته في الخطاب الحجاجي:

إنّ العامل الحجاجي هو مورفيم، إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.

ويقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا الأساس موصل قضوي، فالعامل يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتصقا.¹

إنّ العامل الحجاجي حسب ديكر و يكون داخل القول الواحد (يدخل على قضية واحدة)، وهو عبارة عن عناصر تدخل الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل منذ الظرفية، ربما، تقريبا، على الأقل، كاد، قليلا، كثيرا...

إنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لوقول ما.

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي نورد المثال الآتي:

- الساعة تشير إلى الثامنة.

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

عند إدخال العامل الحجاجي "لا... إلا" على المثال الأول لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانيات الحجاجية التي يتيحها.

ويظهر ذلك جليا إذا أوردنا هذين القولين في نماذج من الأفعال الحجاجية:

م1: الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

م2: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

¹ - ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص28.

إن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقاً أكثر تعقيداً حتى يمكن تأويله، وبعبارة أخرى فهو يتطلب مساراً تأويلياً مختلفاً.

إن المثال: "الساعة تشير إلى الثامنة له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء من الأخبار... فهو يخدم النتيجة "أسرع"، كما يخدم النتيجة المضادة لها: "لا تسرع".

لكن عند إدخال العامل الحجاجي "لا... إلا" فإمكاناته الحجاجية تقلصت وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا داعي للإسراع / تريث.¹

يمكن إذن صياغة نظرية خاصة بالعامل الحجاجي ومقتضاها ما يلي:

إذا كانت مجموعة "ج" من الملفوظات تشترك في المحتوى "ن" نفسه، ومجموعة "ح" من الملفوظات تشترك في المحتوى "ن" نفسه، بحيث: ن = ع + ح، حيث "ع" هو عامل حجاجي، مثل: تقريبا، تماما، قليلا، كثيرا... فإن "ع" يكون عاملاً حجاجياً، إذا كانت إمكانات الحجاج التي تتيحها "ج" مختلفة عن تلك التي تتيحها "ح" من غير أن يكون ذلك بسبب المعلومات التي يضيفها "ع" أو بغض النظر عن قيمة الخبرية المجردة.²

* دور العوامل الحجاجية في تحديد المعنى الحجاجي/القيمة الحجاجية:

إن الذي يعتمد في بناء الخطاب وتوالي الأقوال وتسلسل الجمل هو القيمة الحجاجية للملفوظ، ذلك أنّها توجه الخطاب وتحدد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه، فبعض الملفوظات لها قيمة حجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية، أي أن بينهما تناقضا أو تعارفاً ويتعلق الأمر بالملفوظات المشتمة على بعض العوامل الحجاجية: كاد، تقريبا، ما... إلا، لا... إلا أو بعض الأفعال: أوشك، قرب... إلخ.

هذه العوامل هي بمثابة قرائن لغوية تمثل توجيهات وتعليمات تحدد دلالة الملفوظ وجهته الحجاجية، وهذه الوجهة الحجاجية هي التي تمثل الأساس الذي يقوم عليه الربط بين الأقوال على نحو آخر ضمن استراتيجية ما.³

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص. 29.

² - ينظر: رشيد راضي: الحجاجيات اللسانية، ص. 233.

³ - م.ن.، ص. 380.

فاعامل الحجاجي يضاف إلى بعض المفوضات ليتحكم في قوتها ووظيفتها الحجاجية. ولا يتحدد معنى الملفوظ حسب ديكره ولا يمكن وصفه بتاتا في استقلال عن المقام والوظيفة القولية، فالتداول أو المقام مؤثر له في كل أجزاء المعنى.

2- الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:

قادت اجتهادات الغربيين في مجال الحجاج، في منتصف القرن الماضي المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذا الدرس الجديد بالنسبة إليهم والضارب في أعماق تراثهم في الوقت نفسه، كما منحتهم الفرصة في إدراج مبحث الحجاج في منطقة تفكيرهم فأثبتت بذلك مجموعة من الأعمال العربية: فبعضها قام على المزاجية بين العربي القديم والغربي الحديث، وبعضها الآخر اهتم بتعريف أهم النظريات الغربية المعاصرة من طريق الترجمة لأهم مصادر هذا البحث، وبعضها حاول الكشف عن جذور هذا الدرس في الثقافة العربية الإسلامية وبعضها الآخر قام على استثمار النظريات الغربية الخالصة في معالجة بعض النصوص الخطابية الماثلة في القرآن الكريم والشعر العربي.

ويبقى المتبع للدراسات العربية في مجال الحجاج يسجل قلة عناية الفكر العربي بهذا المبحث وحدودية كم الدراسات المنجزة في هذا الحق، وان كان هذا القليل يبلغ من الجودة مراتب معتبرة، يكفي على ذلك أعمال ثلة من الباحثين في المغرب العربي الكبير، والذين ينقصهم العمل المشترك في بناء عمل حجاجي عربي يمكنه أن يبلغ شأوا عظيما في الفكر العالمي.

ويرجع اهتمام الباحثين في المغرب العربي بالدرس الحجاجي دون غيرهم في المشرق العربي إلى اتصاها المباشر بأهم أعلام هذا الحق في الغرب، هذا ويمكن القول إن موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غذا علما قائما بذاته، ومؤطرا بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعماله في المجالات المختلفة، ولا شك أنه قد تفاعل مع الأبحاث المعاصرة التي تم إنجازها في علوم اللغة والمنطق والفلسفة الغربية والعربية.

وقد تبلورت هذه الجهود العربية في أعمال ثلة من الباحثين في المغرب العربي الكبير، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: د. طه عبد الرحمن، د. أبوبكر الغزوي، د. محمد العمري.

2. 1- الحجاج في الدرس الفلسفي (طه عبد الرحمن):

يرتبط الدرس الفلسفي العربي المعاصر ارتباطا وثيقا بالفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن، ولا يذكر هذا الأخير إلا وذكرت الفلسفة والمنطق، إذ عرف عن الأستاذ اشتغاله بالتداوليات والمنطق، وهما علمان يعد المشتغلون بهما على رؤوس الأصابع في العالم العربي.¹

إن الأستاذ "طه عبد الرحمن" هو الاسم اللامع في مجال التداوليات والحجاج وفلسفة اللغة العادية ومنطق اللغة والمنطق الطبيعي، ليس في المغرب العربي وحده، بل في العالم الإسلامي بشكل عام.

لقد حدّد مفهومه لطبيعة الحجاج وآليته، وقدمهما في مصنفين:

"في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" و "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، حين حاول من خلاهما إيجاد رابط منطقي لغوي، طوعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة، لذلك تميزت نظريته للحجاج بطابع فلسفي.

أ- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:

يحدد الأستاذ طه عبد الرحمن في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" موضوع بحثه ومنهجه ويضع تعاريف موجزة بما توصل به من معارف وحدودا دواعي استعمالها، وقد حدد هدفه في أن يكون الكتاب تمهيدا لممارسة علمية باللسان العربي في ميدان تحليل الخطاب، كما أشار إلى أن أكثر استفادته في بحثه كانت من قسم التداوليات في أبوابه الثلاثة: "باب أغراض الكلام" و"باب مقاصد المتكلمين" و"باب قواعد التخاطب".²

أما الحجاج فيعرفه بقوله: "وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية".³

¹ - ينظر: محمد الهداج: طه عبد الرحمن والمهام العالقة، موقع الشهاب للإعلام، <http://www.chihab.netmodules.php>

² - م.ن

³ - ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص.65.

ويختلف هذا المنهج الاستدلالي "الحجاج" باختلاف مراتب السلوك التخاطبي للإنسان، حيث جعل الأستاذ طه مراتب ثلاث هي: "الحوار" و"المحاورة" و"التحاور"، وهي مراتب تناسب تصنيفا ثلاثيا للنظريات المتداولة في مجال التحليل الخطابي والتي سماها على التوالي: "النظرية العرضية" و"النظرية الاعتراضية" و"النظرية التعارضية".

فأما مرتبة الحوار والنظرية العرضية للحوارية، فإنَّ العارض ينتهج في عرضه مناهج الاستدلال البرهاني، ويتميز هذا الأخير بخصائص صورية من تجريد وتدقيق وترتيب ومن بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء للشروط واستقصاء للعناصر.¹

وأما مرتبة المحاورة والنظرية الاعتراضية للحوارية، فإنَّ المحاور يستند إلى المنهج الاستدلالي "الحجاج" وهو نموذج ينتمي إلى المجال التداولي، كأن يطوي المحاور الكثير من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أمور غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل للتسليم بها، ويرى أن هذا المنهج هو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيد فيه المقام التراكيب ويرجح فيه العمل على النظر.²

وأما مرتبة التحاور والنظرية التعارضية للحوارية، فإنَّ المتحاور يعتمد منهجا استدلاليا هو "التحاجج" وتمثل طريقه في أن يثبت المتحاور قولاً من أقاويله بدليل ثم يعود ليثبته بدليل أقوى، وأن يثبت قوله بدليل ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر وأن يثبت قولاً بدليل ويثبت نقيضه بعين الدليل.³

ويذكر الباحث في خاتمة كتابه أن همه كان "الحفر" لا "الحشر" و"التحقيق" لا "التلفيق" و"التقييد" لا "التسيب" وأنه أنشأ نمودجا نظريا للحوارية يبدو صالحا لتصنيف الخطاب ووصفه أنه اختار لتحقيق ركن المحاورة أصلا من أصول التراث الإسلامي، وهو علم المناظرة وأنه استخرج معالمه الرئيسية، وما يتصل به من بنايات استدلالية وعلاقات منطوية.

¹ - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص. 41.

² - م.ن.، ص. 46.

³ - م.ن. ص. 51.

ب- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:

يعد "اللسان والميزان" كتابا من الكتب الهامة في مجال التداوليات لأنه يعرض لكثير من الأعمال التي لها أثر كبير في تحليل الخطاب وتداوله، رابطا ذلك بأعمال تراثية هامة كانت ذات أسبقية في الوجود، ولكنها لم تستثمر إلا على ضوء نظريات حديثة.

وقد استطاع مؤلفه أن يبلور نظرية عربية الوجه واليد واللسان، ومن المؤكد أنه احتاج إلى كد ذهن وعصر فكر والتشبع بقدر كاف من العلم، ثم النظر بمنظار دقيق.¹

أما هدف التأليف فهو تحديد الصلة بالتقليد العربي الأصيل في الاعتناء بعلوم الآلة أو علوم الوسائل، وقد أثر المؤلف التأليف المنطقي الاجتهادي على التأليف المنطقي المدرسي، يقول: "فقد جمعنا في هذا الكتاب أبحاثا منطقية لسانية...، إذ سعينا إلى أن نجى فيها بشكل أو بآخر بما لا يمكن معه مقلدين ولا ناقلين ولا شارحين، بين اختراع لمفاهيم، وتوليد لمصطلحات وبيان لفروق وإنشاء لدعوى وصوغ لمبادئ، ووضع لقواعد وترتيب لقوانين وتدليل على مسائل واستخلاص لنتائج وتصحيح لآراء وإيراد لشبه، وقس على ذلك نظائره".²

إن "اللسان والميزان" عمل تتداخل فيه معارف ووسائل مختلفة: منطقية ولسانية ورياضية وبلاغية وأصولية وفلسفية، ومؤلفة يقف وقفة خاصة على هذا التداخل ويورد نتائج علمية، أهمها أن "الدليل" هو الأصل الجامع بين هذه العلوم.

ويرى صاحب الكتاب أن "الحجاج" عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركب أو مؤلف من أفعال تكلمة فرعية وموجه إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة³، وان كل حجة خطابية ترد في سياق حوارى معين ينبغي على المتلقي استحضارها للتعرف على بنيتها والتمكن من تقويمها.⁴

¹ - ينظر: محمد الهداج: طه عبد الرحمن والمهام العالقة، م.س.

² - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، م.س. ص.18.

³ - م.ن.ص.262.

⁴ - م.ن.، ص.270.

ولقد عقد "طه عبد الرحمن" في كتابه بابا سماه "الخطاب والحجاج" لتفصيل ذلك ينضوي على مدخل أو أربعة فصول تطبيقية.

وجعل مدار هذا الباب وفصوله على التدليل على دعاوى التكوثر الثلاث وهي:

أن الأصل في تكوثر الخطاب هو: صفته الخطابية، والحجاجية، والمجازية، ثم بين كيف أن هذه الدعاوى ترتبط ببعضها البعض مؤكداً أن الكلام أصل كل تواصل، وأن كل وسيلة تواصل أخرى هي موضوعة على قانونه ومفهومه على مقتضاه.¹

أما في الفصل الثاني من هذا الباب، فتحدث عن "نماذج التواصل وأنواع الحجج" ووجد أن "التواصل والحجة" ينطوي كل لفظ منهما على معان ثلاثة، فالتواصل معاني الوصل والإيصال والاتصال، وللحجة معاني التجريدية والتوجيهية والتقويمية، ثم بسط الحديث في كل نموذج من نماذج الحجج، من ناحية الخصائص والأصول.

وأما الفصل الثالث فعنونه "مراتب الحجاج وقياس التمثيل" ذلك أن كل صنف من الحجج السابق ذكرها له مراتب معينة وهذه المراتب ترتبط مع بعضها البعض بقوانين مخصوصة، وقد عرض فيه أبرز الباحثين اللذين عالجوا هذا الدرس، ثم بين الأسس العامة لنظرية مراتب الحجاج، مركزاً على المراتب الموجهة توجيهياً قصدياً، لأنها تهتم أساساً بالمركبات أو الأقوال، معرفاً بالسلم الحجاجي ومبينا لشروطه، وقوانينه، ثم قابل بين السلم الحجاجي والقياس التمثيلي لدى الأصوليين في استخراج الأحكام الشرعية، مؤكداً نتيجة هامه وهي أنه يجب البحث عند الأصوليين بما يفيد في تحليل الخطاب، بل يمكن أن تنشأ نظرية صالحة لمقاربة الخطاب الطبيعي.

وفي الفصل الرابع الموسوم: "الاستعارة بين الحساب والحجاج" أكد الباحث أن الأسلوب الاستعاري من أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بقوة التفرع والتكاثر، وقد ظفر بالمعالم الأولى عند عبد القاهر الجوراني في مفهوم الادعاء ومبادئه، وكذلك في مفهوم التعارض.

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص. 213.

أمّا الفصل الثالث من الباب الثالث "طبيعة الاستدلال في النص الخلدوني"، فقد بين نماذج من التراث اللغوي المنطقي، ومظاهر الاستدلال الحجاجي الطبيعي والتداولي في النص الخلدوني.

2. 2- الحجاج في الدرس البلاغي (محمد العمري):

يعد محمد العمري أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار، أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة: روافدها، اتجاهاتها، امتداداتها، خصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية¹.

وتمثل هذه الدراسات والترجمات مشروعاً علمياً جريئاً، تفتح أفقاً جديداً للدراسات البلاغية والنقدية، وتكشف عمّا يتميز به صاحبه من تشبع بالتراث وتحكم في النظريات والمناهج الغربية وتشرب من مقولات الدرس اللساني والبلاغي المعاصرين، كما يوضح المشروع مدى تحاور التراثين العربي والغربي، والانتباه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية.

ويمكن تصنيف هذه الدراسات إلى صنفين يشكّلان بعدين أساسيين في المشروع العلمي لمحمد العمري:

يتكوّن الصنف الأول من دراسات كرّسها الباحث للخطاب الشعري، منها كتابه الذي أصدره سنة 1990 تحت عنوان: "تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر" وكتابه الذي أصدره سنة 2001 تحت عنوان: "الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية".

ويتألف الصنف الثاني من دراسات اعتنى فيها الباحث بالخطابة والخطاب الإقناعي قديماً وحديثاً، منها كتابه الذي أصدره سنة (1986) وصدرت طبعته الثانية سنة (2002) تحت عنوان: "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، وكتابه الذي صدر سنة (200) تحت عنوان: "دائرة الحوار ومزالق العنف" وكتاب: "البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول" (2005).

قد يعطي هذا التصنيف الانطباع بأنّ الباحث يفصل فصلاً مطلقاً بين الشعري والخطابي وأنّه يدرس الشعري دراسة بنيوية داخلية، ويدرس الخطابة دراسة تداولية خارجية، والواقع أنّ الأمر ليس بهذه البساطة، ففي دراسته

¹ - ينظر: محمد السالم محمد الأمين الطلبة: م.س، ص.287.

للخطابة العربية كان يأخذ بعين الاعتبار الدور الذي يلعبه المكون الشعري، ويكشف النقاب عن النظرة التداولية إلى الشعر في التراث البلاغي.¹

و فيما يلي عرضنا للمفهوم الذي قدمه الباحث للحجاج في أهم مصنفاته:

أ- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية:

يقف محمد العمري في هذا الكتاب عند خمسة مستويات (البدیع ونقد الشعر، البيان وبلاغة الإقناع، البلاغة العامة أو الصناعتان، نظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز، نظرية الأدب أو الوظيفة التوازنية)، ويرى أن هذه المستويات شكلت الإطار الشامل الذي استوعب الجهود البلاغية القديمة، سواء منها تلك التي رغبت عن الإشادة بالموازنات الصوتية ودورها في الخطاب أو تلك التي ركزت عليها واهتمت بها.²

ويوضح في الصفحة الثالثة والخمسين من الكتاب أن البدیع ونقد الشعر وبلاغته تدرج في البيان وبلاغة الإقناع، ذلك أن الجوانب الصوتية في البلاغة البديعة يمكن توظيفها والاستفادة منها حجاجيا، وخاصة فيما يتعلق بثقافة الصورة وما يصاحبها من إلقاء.

ب- في بلاغة الخطاب الإقناعي:

يهدف الباحث في هذا الكتاب التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا، عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نسي مع هيمنته صياغة السكاكي للبلاغة العربية.

ولقد طبق فيه الباحث التصور البلاغي لبييرمان وأولبريخت - لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو - مما يسمح باستيعاب بيسر كما يقول على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها عن الشعر.

ج- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها:

¹ - حسن المودن: تقديم كتاب: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، برنامج اتحاد كتاب المغرب. h-<http://uemmet.free.fr/co>

² - ينظر: محمد السالم محمد الأمين الطلبة.م.س، ص.285.

يتميز هذا البحث بمدونة تتسم بضخامة الحجم واتساع الزمن، اتخذ صاحبه من التحليل البيوي منهاجا لتحليل بيانات المؤلفات البلاغية، وعمد إلى كشف أنساقها الداخلية، والابتعاد عن مكرور الكلام من الأخبار والتراجم والأحكام الجاهزة.

و تبين الدراسة أن الباحث قد استفاد من نظرية التلقي حيث تبدو هذه الأخيرة بارزة من خلال الانطلاق من "الأسئلة التاريخية" و "التوقعات" و "المشاريع والمنجزات" و "قراءة اللاحق للسابق"، وغير ذلك من قضايا التلقي والقراءة.

ويذكر محمد العمري أن الكتاب، كما لاحظ ذلك الكثير من قرائه، كتاب نسقي، يرصد خطوط الطول والعرض في خريطة زمنية تمتد عبر قرون، وإن الحاجة كانت ماسة لهذه الخريطة التي يمكن ملؤها بيسر من خلال أعمال أخرى باحثون آخرون، شباب في الغالب.¹

و تبين فصول الكتاب تتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة ثانية.

د- دائرة الحوار ومزالق العنف:

يذكر محمد العمري أن الصياغة العامة للمقترح النظري للكتاب، تظهر من خلال خطاطة جامعة سماها: دائرة الحوار ومزالق العنف، ويذكر أيضا أنه عندما قدم هذا المشروع - قبل صدوره في 2002 عن إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - في المحاضرة الافتتاحية لأعمال "رابطة أدباء المغرب" للموسم 2000 - 2001، علق مسيرة الجلسة الأستاذ سعيد يقطين، بقوله: "هذا العمل ينزل البلاغة من الكراس إلى الناس" وأنه قد سعد بهذه الملاحظة لأنها دلت على تحقيق ما كان يتوخاه في بعض مؤلفاته، وهو الوصول إلى لغة تجعل الآليات الخطابية تصل إلى أوسع جمهور دون المساس بصرامتها المنهجية، فالخطاطة التي اقترحها في دائرة

¹ - محمد العمري: المشروع العلمي بين المأمول والمتاح. www.medelomari.net

الحوار¹، تحاور أجناس الخطابة عند أرسطو، وتستحضر مفهوم المناظرة وأدبيتها عند العلماء المسلمين، وتستفيد استفادة نقدية من منطق الإقناع المدعو بلاغة جديدة عند بيرلمان ومدرسته، ولكنها تتلافى التفرغ المصطلحي والتعبيري، وتقرن النظري بالتطبيق الواسع، بل تجعل التطبيق منطلقا.

ه- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول:

يتألف الكتاب من تقديم وثلاثة فصول وملحق يضم مقالا مترجما للبلاغي الفرنسي أوليفي روبرول تحت عنوان: "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟" ويرى الباحث أنه قد دخل بواسطة هذا الكتاب في مرحلة بناء النموذج الحديث للبلاغة العربية، وهو يطمح أن يكون الكتاب لبنة من لبنات بلاغة حديثة فعالة لا تغيب عنها الخصوصية العربية، ويعرف الباحث البلاغة في كتابه بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهامه وتصديقا" إنها علم عتيق يهتم بالخطاب في كليته، في بعده التخيلي الأدبي، والحجاجي المنطقي.

ويذكر الباحث أن الأبحاث المنشورة في هذا الكتاب قد نضجت في سياق قراءة للتراث البلاغي العربي والاجتهادات الغربية الحديثة، وان الدراسة البلاغية قد اتجهت إلى نصوص نثرية ملتبسة، قديمة وحديثة، وذلك في محاولة لكشف تداخل المكونات البلاغية "التخيلية والحجاجية" في بنيتها. كما سعت الدراسة إلى ترميم بعض الجوانب التي تأخر فيها التنظير البلاغي العربي عن الإنتاج النصي.²

3. 2- الحجاج في الدرس اللساني: (أبو بكر العزاوي):

يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في العالم العربي ارتباطا وثيقا باللغوي المغربي أبو بكر العزاوي الذي يؤكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع، وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام وهو: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل".³

وتمثل دراسات وأبحاث وترجمات د. العزاوي مشروعا علميا لفتح أفقا جديدا للدراسات الحجاجية واللغوية، ويعتبر بعضها كـ "الخطاب والحجاج" و "اللغة والحجاج" قراءة نسقية للمدارس اللسانية والحجاجية

¹ - ينظر: محمد العمري: المشروع العلمي بين المأمول والمتاح. م.س.

² - ينظر: م.ن.

³ - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمدي للنشر، المغرب، ط.1، 2007م، ص.105.

ودراسة مقارنة تعقد حدود التداخل والتخارج بين الحجاج والحوار واللغة، وقد ساهم المصنفان في توجيه عدد كبير من الباحثين والدارسين والطلبة إلى الاهتمام بدراسة الحجاج والاستدلال الطبيعي، وفيما يلي عرض لمحتوى المصنفين:

أ- اللغة والحجاج:

"اللغة والحجاج" مؤلف من الحجم المتوسط، وهو على صغر حجمه فإنه يمثل طفرة نوعية في البحث والإبداع والتميز، صدر في طبعته الأولى عام 2006 عن دار العمدة للطبع، المغرب، وقد جاء في أربعة فصول مسبقة بمقدمة ومذيلة بخاتمة، يبرز الباحث في مقدمة كتابه الهدف من بحثه وهو: دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية، ويسعى من خلال هذه الدراسة إلى تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كما يروم من خلالها اكتشاف منطق اللغة، ثم قدم تعريفاً ضمناً لمعنى الحجاج، إذ يعتبره انجاز المتكلم لخطاب يعتمد آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع.¹

كما أبرز في المقدمة أسباب تبنيه للنظرية الحجاجية في اللغة وعن دواعي اختيار الموضوع (الحجاج في اللغة العربية).

أمّا الفصل الأول فيسميه: "الحجاج اللغوي والدلالات الحجاجية" وعرف فيه بنظرية الحجاج في اللغة وبعض مفاهيمها ومصطلحاتها من قبيل: الحجة - النتيجة - الروابط - العوامل الحجاجية - السلم الحجاجي... إلخ.

أمّا الفصل الثاني الموسوم "بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية" فقد درس فيه الباحث الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل: بل - لكن - حتى، واقتصر البحث في هذه الروابط على الاستعمال الحجاجي لها.

أمّا الفصل الثالث فهو بعنوان: "الاستعارة والحجاج"، وقد درس فيه ظاهرة الاستعارة والمظهر الحجاجي لبعض أنواعها، مركزاً فيه على مفاهيم السلم الحجاجي والإبطال والقوة الحجاجية، ودافع عن تصور مفاده أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية من الأقوال العديدة ولا يسمح بمرور رابط حجاجي دال على التعارض أو الإبطال.

¹ - ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، م.س.ص.8.

أمّا في الفصل الرابع الموسوم "قوة الكلمات أو اللغة بين الإنجاز والحجاج"، فقد عقد فيه الأستاذ مقارنة بين الجوانب الإخبارية للكلام وجوانبه الإنجازية والحجاجية، وقصد من هذا الفصل بيان سلطة اللغة، وهو موضوع قدّمه عالجه الباحث من منظور نظرية الأفعال وقوة الكلام اللغوية ونظرية الحجاج في اللغة. وفي خاتمة الكتاب وضع الباحث أن الاستدلال الحجاجي نموذج تحليلي لمنطق اللغة البشرية، وأن مقارنته للموضوع مقارنة لمفهوم الانسجام الحجاجي وتعالق الروابط والعوامل الحجاجية في اللغة العربية، ووعد الأستاذ في نهاية كتابه بأنه سيطرق موضوعات أخرى لها صلة بالموضوع لم يسمح له الوقت بدراستها. وينتهي الكتاب بفهرس متنوع جمع بين مصادر ومراجع عربية وغربية تنتمي إلى حقول معرفية شتى: المنطق والبلاغة والتفسير والنحو والأدب واللسانيات.

لقد حاول الباحث في كتابه الإحاطة بنظرية الحجاج اللغوية، التي هي امتداد وتطوير لنظرية الأفعال اللغوية المتبلورة في أعمال (أوستن وسيرال) أولاً، ثم تطورت في أعمال (ديكرو)، والتي ساهمت في الكشف عن وظيفة أساسية من وظائف اللغة، إن لم تكن أهم وظيفة وهي الوظيفة الحجاجية المنطقية الإقناعية للغة.

ب- الخطاب والحجاج:

يعد "الخطاب والحجاج" امتداد وتطوير للكتاب السابق "اللغة والحجاج"، والكتاب في طبعته الأولى 2007، صادر عن دار الأحمديّة للنشر، المغرب، يهدف إلى دراسة الحجاج في مستوى الخطاب، وسيؤكد الباحث في مؤلفه أن مجال الحجاج ليس هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار، حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائق اشتغاله، ويؤكد هذه الفكرة من خلال تحليله - وفق منهجية النظرية الحجاجية المعاصرة¹ - مجموعة من الخطابات، الخطاب القرآني على رأسها، حيث درس البنية الحجاجية للخطاب القرآني ساعياً إلى إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية المتجلية فيه، وبيان أهمية التحليل الحجاجي للنصوص والخطابات بمختلف أنواعها وأنماطها، ويرى أنّها محاولة منه لاستجلاء بعض المظاهر الحجاجية للسورة القرآنية "سورة الأعلى"، وأنّ الخطاب القرآني خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية، وهو موجه إلى كافة البشر، إنّ خطاب يقوم على الحجاج والمنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني.²

¹ - ينظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، م.س.

² - ينظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، م.س.، أنظر الفصل الأول من الكتاب.

ومن الخطابات أيضا: الخطاب الشعري والخطاب المثلي والخطاب الإشعاري، وقد مثلت (أنواع الخطاب) العناوين الأساسية للفصول الأربعة للكتاب.

فأما الفصل الأول فهو الموسوم بـ: "الخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجاً"، فهو دراسة نموذجية للبنية الحجاجية للخطاب القرآني.

أما الفصل الثاني المعنون "الخطاب الشعري"، فهو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر يتمثل في قصيدة "العله" للشاعر العراقي أحمد مطر، وهي مأخوذة من ديوانه "لافتات 2" الصادر بلندن سنة 1987.

لقد سعى أبو بكر العزاوي في هذا الفصل إلى إبراز أهمية التحليل الحجاجي للنصوص والكشف عن الوظيفة الإقناعية والحجاجية للنص الشعري، وقد وضح أن الشاعر لا يهدف إلى إخبار المتلقي، ولا يقصد إلى تقديم المعلومات والأخبار إليه، إذ ليست وظيفة النص إعلامية إخبارية وإنما وظيفة حجاجية بالأساس.¹

وأما الفصل الثالث: "الخطاب المثلي: من المنطق إلى الحجاج" فهو دراسة لمجموعة هامة من الأمثال العامية المغربية، وقد حاول صاحب الكتاب أن يجيب من خلاله عن الأسئلة التالية: كيف يشتغل المثل؟ وكيف يتم توظيفه في الحوار والخطاب؟ وما وضعه؟

ويجيب بأن الأمثال الموظفة في الخطابات تقوم بدور المبدأ الاستدلالي الحجاجي الذي يضمن الربط بين الحجة والدليل أو النتيجة.

ويرى أن الأمثال الفصيحة والعامية، في مجملها مبادئ حجاجية، وأن توظيف بعضها في الخطاب هو بمثابة حجة السلطة، إنها حجة قوية ومثله مثل الشواهد وأقوال العلماء والحكماء² لا يمكن دحضها وأبطالها بسهولة ومن ثم فالمثل حجة جاهزة صناعية.

ويؤكد أبو بكر العزاوي أن ما اكتشفه في دراسة الأمثال من تنوع في البدن وتعدد في الوظائف يبين بكل وضوح وقوة نجاعة التحليل الحجاجي من جهة، ويؤكد من جهة ثانية الطبيعة الحجاجية للخطاب الطبيعي واللغات البشرية برمتها¹.

¹ - ينظر: م.ن.، ص.60.

² - ينظر: م.ن.، ص.80.

وأما الفصل الرابع الموسوم "الخطاب الإشهاري: الصورة الإشهارية والحجاج الأيقوني" فقد بين الباحث من خلاله أن الخطابات البصرية والصور الإشهارية التي لا تتضمن أي مكون لغوي هي حجاجية، إذ تشتمل على ما سماه بالحجاج الأيقوني ومن ثم فقد أكد المبدأ العام الذي أورده في بحثه السابقة: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل" فيكون الحجاج مرتبطا بكافة أشكال التواصل اللغوي وغير اللغوي.

ويؤكد من خلال تحليله لصورة إشهارية أن المكونات اللغوية والأيقونية تتكامل وتتفاعل فيما بينها في مستويات مختلفة، ويؤدي إلى نتيجة واحدة ووحيدة. ويهم التكامل والتفاعل الجوانب الإخبارية الإعلامية كما يهم الجوانب الإقناعية الاستدلالية².

ويذكر الباحث أنه استعان في تحليل الخطاب الإشهاري بنظرية الدلالة التصورية لـ "جاكندوف"، والتي مقتضاها أن البنيات الدلالية هي جزء من البنيات التصورية.

¹ - ينظر أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، م.س. ص.93.

² - ينظر: م.ن.، ص.111.

الفصل الثاني:

استراتيجية الحجاج في خطب

البشير الإبراهيمي

المبحث الأول: الآليات البلاغية للحجاج في خطبة البشير:

تعّد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى يتقبل قضية ما.

"ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختصّ بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المرسل لها؛ إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحفّ بخطابه"¹. ويعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وإمكاناتها الإقناعية، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج، فتعيّنه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه. والأساليب البلاغية "قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، من هنا يتبيّن أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحوّل لأداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية"².

فالمتكلم له طريقتان لتبليغ مقاصده، طريق الحقيقة وطريق المجاز - حسب رأي الجرجاني - إذ يقول: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكنّ يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك معنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر الكناية والاستعارة والتّمثيل"³.

كما أنّ المخاطب يسعى إلى "تضمين الخطاب دلالات غير حرفية، تضمن له التأثير والإقناع، وذلك عن طريق استعمال المجاز الذي يعد طريقة من طرائق إثبات المعنى وإقامة الدليل عليه، والمجاز يعوض الحقيقة في تصوير المعنى، وتقديمه تقدما حسنا دون أن ينتج عن عملية التّعويض هذه، تعيّر في المعنى الحقيقي"⁴.

¹ - عبد الهادي الظفري: استراتيجيات الخطاب، م.س.ص. 476.

² - صابر لحباشة: التداولية والحجاج، مداخل و نصوص، م.س.ص. 50.

³ - الجرجاني: دلائل الإعجاز، م.س.ص. 173.

⁴ - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، م.س.ص. 482.

وسوف نحاول في هذا الفصل أن نبين كيف تمتح البلاغة الخطاب الحجاجي بعداً إقناعياً، وذلك بتحليل نماذج موجودة في خطبة البشير الإبراهيمي التي استعمل فيها مجموعة من الآليات البلاغية الحجاجية: كالتفريع، التكرار، المقام، التوكيد... وبعض الصور البيانية كالتشبيه والكناية، وجانب من ألوان البديع كالجناس والسجع...

1- حجاجة الأساليب البيانية:

يعد الجانب البياني سندا قويا، يقف عليه المتكلم؛ لاستمالة المتلقي والتأثير فيه؛ لما يمتاز به من قدرة على إخراج النص بما يمكن أن يجعله نصا مكتملا من الناحيتين البلاغية والإبلاغية، لذا نجد أن التوظيفات البيانية، لا تفارق النصوص الإبداعية، لكون "حسن البيان في الكلام على مراتب، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان وتتقبله النفوس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة"¹ ويدركه أصحاب توظيف البيان من خلال التأكيد على أسسه الرصينة والفاعلة.

ويمكننا القول بأن هناك علاقة لصيقة بين البيان والحجاج؛ وذلك من خلال قدرة المتعاطي للبيان في توظيف تلك المعطيات اللغوية لخدمة الموقف، فالعلاقة متبادلة بين الاثنين لحصد ثمار النجاح، وتحقيق الهدف أو الغاية المنشودة القائمة على التأثير في المخاطبين وإقناعهم. ومن هنا فعلى الخطيب مراعاة الأسس البيانية لتحقيق غايته المنشودة في التأثير وإثبات الحججة.

لقد استعمل "البشير الإبراهيمي" في خطبته مجموعة من الأساليب البيانية سنحوض في تحليلها، ونبين كيف وظف قدراته الأسلوبية وحججه لإحداث التأثير والإقناع في المخاطبين.

1-1- الاستعارة:

تعد الاستعارة مركز الحجاج، وأهم آلياته البلاغية؛ نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، قال الجرجاني في تعريفها: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الموضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به في حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك

¹ - الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، م.س.ص.28.

الأصل، وينقله نقلا غير لازم، ويكون هناك كالعارية¹، فالاستعارة عند الجرجاني هي نقل اللفظ مما وضع له في أصل اللغة من معنى إلى آخر نقلا غير لازم، فهي كالشيء المستعار لقضاء حاجة، ثم يردّ إلى صاحبه، كذلك الاستعارة تؤدي المعنى الجديد، دون أن تتخلى عن المعنى الأصل. على أن الاستعارة من وسائل الحجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوعا من الضَّغَط للإقناع والتأثير.

يقول الإبراهيمي: "الله ولد الحرية من العبودية، وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وما أعذبه إذا كان للحياة طريقا وبايعه عباده المؤمنون الصادقون على الموت، فبايعوا بالصفقة الراجعة".

فقد أجرى الحرية والعبودية مجرى الكائن الحي، في استعارة مكنية؛ ليثبت لنا قدرة الله على أن يخرج من المتضادات أصددها، كيف لا والجزائر التي رسفت في أغلال العبودية أكثر من قرن، تنفس اليوم هواء الحرية؟، إنها تحيا بفضل من ماتوا من أجلها، فنحن نرى كيف أن هذه الاستعارة ذات وظيفة حجاجية مركبة، ارتبط فيها العقل بالإحساس، والفكري بالنفسي، فحققت وظيفتها الحجاجية في إقناع المتلقي. فالاستعارة ليست حركة ألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، وهي ليست بديعا فحسب، بل طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم عليه الادعاء.²

وفي قوله: "...وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يجزه شعب نائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور، ويستركم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة"

أسند الركوب للغرور وهو شيء معنوي، على سبيل الاستعارة المكنية، يريد من خلالها بعدا حجاجيا توجيهيا يقود إلى الفعل (مجانبة الغرور)، فهو يريد أن يثبت في ذهن المستمعين أن الغرور يضلّل، ويستدرج صاحبه، لأن للمغرور غفلةً وطمأنينة خادعة، فالغرور سبيل العجز عن الجدّ، والافتخار بما مضى من أجماد الثورة، وبذلك تتشوه صورة الثورة وتطمس محاسنها.

ومسار هذه الاستعارة يكون بهذا الشكل

مقدمة (حجة) ← نتيجة

حازت ثورتكم إعجاب العالم تشويه صورة الثورة

¹ - م.ن.

² - ينظر: أحمد أبو زيد الاستعارة عند المتكلمين مجلة المناظرة العدد 4 السنة 2 ماي 1991 ص. 46

فلا تغتروا بمكاسبها

فهذا القول الاستعاري مكون بنيوي على جعل المعنى أكثر حيوية، فالاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغيير للموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، حين تنضاف الجمالية إلى مجموعة متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بين أجزاء الكلام.

أما في قوله: "إنّ الثّورة قد تركت في جسم أمّتكم ندوبا لا تندمل إلّا بعد عشرات السّنين"، فقد استعار للأمة جسما وندوبا فحذف المشبه به، وذلك من باب الاستعارة المكنية، وهي أقوى حجاجيا من القول العادي، يريد أن يبين أن مآسي الثورة وويلاتها قد فتقت فتوقا واسعة في جسد الأمة، والنتيجة هي أنّ تركّة الجرح عظيمة تتطلب مّن سينوء بحملها جلدًا ومغالبةً. فهذه الاستعارة لون جمالي وحجة في الوقت ذاته، حيث يمتزج المستعار والمستعار له، وقد قال طه عبد الرحمن: "لا حجاج بلا مجاز"¹، وللإستعارة كما رأينا ثلاثة أبعاد: بعد جمالي، وبعد توجيهي وبعد تأثيري يقود إلى الفعل

1-2- التّشبيه:

إلى جانب الاستعارة، نجد التّشبيه الذي يسهم أيضا في الإقناع، لكن كفاءته في التّأثير أدنى من الاستعارة غالبا، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد الاستعارة من ناحية درجة الوضوح والغموض من جهة، ومن ناحية الإقناع من جهة أخرى، فهو يعتبر وجه من وجوه المقارنة بين طرفين "المشبه والمشبه به"، باشتراك هذا في صفة من صفات ذلك.² ويكون طرفه الثّاني حجة على طرفه الأول وهذا حجاج على صحة المقدمة. ويعرف التّشبيه بأنه: "إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التّشبيه ملفوظة أو ملحوظة".³ وقيمة التّشبيه لا ترجع فقط للعلاقة بين طرفيه، وإنما ليزيد المعنى وضوحا فيقنع به المتلقي، كتعبير عن نفسه وتصوير لما يدور في خاطره وعقله وتقريبه للمسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس، وهذا ما جاء الدّرس الحجاجي المعاصر، إذ جعل من قيمة التّشبيه بتوظيفه في النصوص الحجاجية لتأثير في المتلقي.

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان. م س ص 332

² - صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص. عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992. ص. 146.

³ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى فن البلاغة العربية، م.س. ص. 144.

يمكن أن نعتبر التشبيه من آليات الحجاج البلاغي، الذي اعتمده "البشير الإبراهيمي" في خطبته "يوم صلاة الجمعة الأولى" وقد تعدد وتنوع، وسيتم رصده وتحليله من خلال الأمثلة التالية:
يقول الشيخ: "فلقد كنا نمرّ على هذه الساحة مطرقين، ونشهد هذا المشهد الحزن منطوين على مضض يصهر الجوانح ويسيل العبرات، كأنّ الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا"¹

لهذا التشبيه المرسل وظيفه زخرفية، كما أنه يملك قوة حجافية، إذ يقرب الصورة إلى المتلقي، حين يثبت لنا صورة صادقة للمواطن الجزائري المسلم الذي شهد تحوّل المساجد إلى كنائس، ولم يستطع لذلك دفعاً، فأحسّ بالقيصة، وصار يشعر كأنّ الأرض تلعن فيه تسليمه وخضوعه، والتشبيه بذلك يوجّه المتلقي المستقلّ اليوم إلى أن يحافظ على مساجده التي رُدّت إليه، لذلك نجدّه يؤكد على ذلك في تشبيهات بليغة متلاحقة: "هذا المسجد هو حصّة الإسلام من مغام جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذمكم..."، وهو هاهنا يبين حال المشبه، ودرجة القوة الحجافية للتشبيه البليغ أشدّ وأكثر تأثيراً في نفس المتلقي.
ويمكن تمثيل حجافية التشبيه الأول كما يلي:

ن	فقدنا مساجدنا، تلعننا الأرض ، نسير مطرقين
ح	فرطنا في جنب ديننا
ح	أضعنا ميراث أسلافنا

يقول الإبراهيمي: "إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان قد يمس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك)، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها"².
نجد تشبيهاً مرسلًا تفيد الكاف فيه القرب بين طرفي التشبيه دون مبالغة، وتعدّد مقارنة بين الاستعمار والشيطان، فالمستعمر الذي غادر الجزائر صاغراً لم تزل همته متعلّقة بما تركه فيها، من مصالح وأتباع متحمسين له، ونحن نجد في هذا التشبيه بعداً توجيهياً إقناعياً، من خلال تمرير رأي الباحث الذي يحمل بعد إنجازياً وتأثيرياً، يقضي بالألّا نحقق للاستعمار ما يبتغيه حتى لا يحملنا على الفتن كالشيطان.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5.ص.307.

² م.ن.

الاستعمار كالشيطان	ح	}
الشيطان يئس أن يعبد في أرض الإسلام	ح	
الاستعمار خرج من أرضكم ولكنه لا يزال في ألسنتكم وله مصالح وأتباع	ح	
لا تعاملوه إلا في الضرورة	ن	

وفي قوله: "وهذا اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقتها، والصحيفة المذهبة الحواشي والطرر من كتابها".¹ حشد الشيخ الابراهيمى عددا من التشبيهات البليغة ليعبر عن منزلة ذلك اليوم، فجعله غرة لائحة في وجه الثورة و"غرة الفرس" كما نعرف البياض الذي يكون في وجهه، ليثبت أن سنوات الثورة المدهمة التي عاناها الشعب الجزائري انبلجت عن نهار مشرق، كما جعل ذلكم اليوم تاجا في مفرق الثورة، وصحيفة مذهبية في كتاب الثورة، كيف لا وكتاب الثورة يطوى ومعه مجد أثيل حمل الاستقلال للجزائر، والواضح أن هذه التشبيهات تسهم في تحريك وجدان المتلقي وتدفعه إلى الاقتناع بحجيتها.

1-3- الكناية:

إلى جانب كل من الاستعارة والتشبيه، نجد الكناية التي لها دورا في الحجاج فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع قارئه، إذ تعد من وسائل الحجاج، يقول الجرجاني في هذا الباب: "أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم - إذا رجع إلى نفسه - أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجازها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها هكذا سادجا غفلا".²

هي أيضا من وسائل التفنن في القول، والإبداع في إثبات المعنى والاحتجاج له، "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمن به إليه، ويجعله دليلا عليه".³

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س ج.5.ص.306.

² - الجرجاني: دلائل الإعجاز، م.س. ص.56.

³ - م.ن: ص.57.

يقول الشيخ: "يا إخواني: إنكم خارجون من ثورة التهمة الأخضر واليابس، وإنكم اشترتكم حریتکم بالثمن الغالي"¹، فالأخضر واليابس كناية عن سنوات الثورة العجاف التي أتت على كل شيء فأهلكت البلاد حيث عم الجذب والضعف، وهي كناية تعمق الفكرة فمن كثرة استعمالها بين المبدعين أصبحت تعابرها جاهزة يتداولونها كرافد اقناعي مهم.

وفي قول الشيخ: "ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كل داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكل ناعق ينطق بالفتنة والفساد" فالناعق هو في الأصل صوت الغراب. ونَعِيقَ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي الصَّيْحَ والنَّوْحَ، وَأَضَافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ الْحَامِلُ عَلَيْهِ، والناعق هنا كناية عن صوت الشؤم وعن صياح كل مفسد.

2- حجاجية البديع:

يستعمل المرسل أشكالاً لغوية تصنف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية، وهذا الرأي ليس صحيحاً، إذ إن لها دوراً حجاجياً لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك، والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المرسل من أن يبدع كيفما شاء، "وإذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأن هذه الآليات الحجاجية هدفها الإفهام، تبيننا أن أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع وإنما هي أصلاً، أساليب للإبلاغ والتبليغ"².

إن المحسنات البديعية هي الأخرى يمكن أن تؤدي الوظيفة الحجاجية، يقول "صابر الحباشة": "إن محسناً لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتاداً في علاقته بالحالة الجديدة

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5. ص.306.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، م.س. ص.522.

المقترحة وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زحرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع".¹

إذن هناك نوعان من المحسنات، محسنات تزيينية زحرفية متعلقة بالأسلوب، ومحسنات حجاجية متعلقة بالإقناع. فالبديع اللفظي والمعنوي وسيلة تأثير واستمالة، فاللفظ الجميل البديع المعنى المقنع أنفذ إلى الأذهان والأسماع وأكثر وقعا في القلوب.

والمحسن اللفظي يحمل معنى مزيينا به، وبهذا يكون مؤثرا في المتلقي، فيعمد إلى إرسال هذا المعنى كما يراه في ذهن المتلقي بشيء من المجال".²

ونجد البشير الإبراهيمي قد استعمل هذه المحسنات كآلية بلاغية حجاجية، أي من أجل محاولة التأثير في المخاطب، واستمالاته وإقناعه، وسوف نقتصر على الطباق والسجع والمقابلة والجناس، هذه المحسنات التي لها دور مهم في العملية الحجاجية.

2-1- الطباق:

"يعرف الطباق بأنه الجمع بين متضامين، أي معنيين متقابلين في الملفوظات، وهو على نوعين: حقيقي ومجازي. ويقوم الطباق على إيجاد علاقة ظاهرة أو خفية بين معنيين متضادين في الملفوظ الواحد، مع وجود نوع من التناسب بينهما يستدعي الجمع بينهما لإفادة غرض ما".³

ويفيد هذا المحسن المعنى ويجليه، وهو اتجاه واضح في الحجاج حيث يقوم الطباق بوظيفة حجاجية هي توضيح المعنى، حيث يدعم المعنى بقوة الضوح، حين يجمع الطباق بين معنيين متقابلين.

وسنحتزئ بتحليل بعض أمثلة الطباق في الخطبة، ففي قوله: " جعل سبحانه وتعالى السيف فرقانا بين الحق والباطل، وأنتج من المتضادات أضدادها، فأخرج القوة من الضعف، وولد الحرية من العبودية، وجعل الموت طريقا إلى الحياة، و ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا".⁴

¹ - صابر الحياشة: التداولية والحجاج مدخل و نصوص، م.س.ص.51.

² - عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية. دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي. عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 2013. ص.296.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5. ص.305.

⁴ - م.ن.

استعمل الطّباق بين (الحق، الباطل) و (القوة، الضّعف) و (الحرية، العبودية) (الموت، الحياة) على شكل ثنائيات، وهذه الثنائيات جاءت في شكل مزاجية بين الأضداد، فقد لجأ المتكلم إلى الطباق من أجل تدعيم الطرح، ويمكن أن تعتبر كل ثنائية بمثابة حجة".

وفي قوله: "وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة"¹

استعمل الطّباق بين (القليلة، الكثيرة) مبينا أنّ النصر مشيئة ربانية ليس لها صلة بالكثرة والعدة، فقد يهزم الجمع القوي الغفير، وتنصر الفئة القليلة الضّعيفة، ما دام شرط النصر إيمانا وصبرا.

وهذا ما يزيد المعنى وضوحا وقوة في التأثير، فالمعنى الحجاجي الموضح بالطّباق، يظهر بقوة تأثيرية مقنعة .

والمتمعن في نص الخطبة يجد أن الشيخ يستخدم أفعالا تقوم على التّضاد، حيث لا تعرف الأشياء إلاّ بأضدادها، فقيمة الحياة تتجلى في هذا التّضاد القائم بين (المصلح والمفسد)، (الحق والباطل)، (القوة والضعف)، (الحرية والعبودية)، (الأولين والآخرين)، (القليلة والكثيرة)، (قديما و حديثا)، (الخير والإثم)، (التّقوى والعدوان)، فالتّضاد يوضح المعنى ويقويه، وبضدها تتميز الأشياء، فالجمع بين هذه المعاني المتضادة حدم حجة وهي إثبات القدرة الإلهية وإرادة الانسان في التغيير لتتقلب الحال به من ضعف إلى قوة ومن موات إلى حياة. فالطّباق - إذن - له أهمية في عملية الإقناع والتّأثير، فهو من الحسنات البديعية التي تساهم في توضيح المعنى وتزيده قوة و جلاء، فالأشياء بضدها تتميز.

2-2- السّجع:

السّجع من الكماليات البلاغية والحسنات البديعية اللفظية، وهو من أهم الظواهر الأسلوبية في النّثر، وهو يعطي الكلام مكانة أقرب إلى الرّجز والقصيد وان كان دونهما، كما يقول الجاحظ: "السّجع والمزدوج دون القصيد والرّجز"²

وقد اشترط ابن الأثير في الكلام المسجوع أربعة شروط:

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س ج5.ص. 306.

² - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، م.س.ص.120.

1- اختيار مفردات الألفاظ واختيار التراكيب على الوجه الملائم لمقام الكلام، حيث يقول ابن الأثير "ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعني بقولي " غثة باردة"؛ أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تراكيبها وما يشترط لها من الحسن.

2- وأن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه فيخدم اللفظ المعنى.

3- وإذا كان محمولا على الطبع غير متكلف، فإنه يجيء في غاية الحسن وعد من أعلى درجات الكلام¹

4- أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، حتى لا يصاب الكلام بالإطناب الممل والتطويل الذي لا فائدة منه²

ويمكن تقسيم الخطابة باعتبار جانب إيقاع الشكل وسجع العبارات المختارة لدراسة أضربا ثلاثة مرتبة

كالآتي:

1- خطب كثيفة الصنّاعة مسجوعة.

2- خطب متوسطة الصنّاعة: بين السّجع والازدواج.

3- خطب مرسلة: قليلة السّجع.

لم يخل خطاب "البشير" من السّجع، حيث ينوع الخطيب قافية أسجاعه من فقرة لفقرة، ويمكن رصد هذه الأسجاع في خطبته في قوله مثلا:

"يعلم صدق يقينهم، وإخلاص نياتهم، وصفاء سرائرهم، وطهارة ضمائرهم"³

اعتمد فواصل وجمل قصيرة متعادلة في الغالب، فيها عناية بالموازات الصوتية الإيقاعية. والتنوع في فن القول بالصور البديعية يعث النفس على إدراك المعاني على نحو يقربها من الحقيقة، وكلما كان المعنى عذبا لطيفا في السمع كان حسنا مؤثرا في النفس.⁴

¹ - ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة د. ط، ج1،

ص313_314

² - م. ن. ج1 ص193

³ - ينظر: البشير الإبراهيمي: ج5. ص.305.

⁴ - ينظر: بوخشة حديجة: حجاجة الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه بجامعة وهران، السنة الجامعية: 2013_2014،

وفي قوله في الفقرة الثانية: "صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"¹ أضفت نوعا من الخفة والجرس وتواتر الوحدة تلوى الأخرى. فبلاغة الخطبة تقوم على تفتيق البديع أساسا وإعطاء الصنعة والتنميق والأسجاع دورها على حساب العديد من الآليات القولية، تضاف إليهما بلاغة مقصدية أساسها المعاني.

وقوله كذلك: "والتي فيها نبتنا وعلى حبها ثبتنا، ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أوذينا"² إن المقطع الصوتي "نا" نجده يتكرر مما يحدث إيقاع صوتي في الكلام، فتوافق الحروف والحركات والسكنات أعطى الخطبة توازنا وتأثيرا على السامع، ذلك أن توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه.

وقوله: "و ينسى المشوه أنه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانكم بيد العطف والحنان، فإنهم أبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم".

يعطينا المقطع الصوتي "كم" جرسا موسيقيا وإيقاعا يجذب انتباه السامع ويجعل للتعبير قوة وتأثيرا، ويساعد على ترسيخ الفكرة.

كان استعمال البشير الإبراهيمي للسجع في خطبته، تلقائيا عفوا الخاطر، غير متكلف ولا ملتزم به في كل الكلام، وهو علامة من علامات ديباجة الأسلوب عند "البشير"، فكلما كانت الألفاظ المسجوعة ذات رقة ورنين، فإن النفس الإنسانية تشتاق إلى سماعها والأذن تأنس لسماعها.

2-3- المقابلة:

لا يقتصر المتكلم في توظيف المفردات في حججه، بل يتجاوزه إلى توظيف ما هو أوسع قليلا، من قبل المقابلة، إذ المقابلة هي "إتيان المتكلم بلفظين متوافقين فأكثر، ثم بأضدادها أو غيرها على الترتيب، وهي من البديع المعنوي أعم من التطابق، وهي قائمة على المعاني"³

والمقابلة الحجاجية هي التي يقتضيه المعنى، ولا ترد متكلفة، إذ بدا استعمالها طبيعيا ولم تقحم إقحاما. وبما أن المقابلة تعتمد على إيراد معاني ثم الإتيان بما يقابلها، فذلك يسهم حتما في توضيح المعنى، مما يساعد على تمييز الأشياء والإقناع. وقد وردت بعض الأمثلة في خطبة البشير الإبراهيمي منه: قوله: "تجلى على بعض عباده بالغضب والسخط... أو تجلى برحمته ورضاه على آخرين"⁴

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5.ص.305.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5.ص.305.

³ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م.س. ص.247.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، م.س. ج.5.ص.305.

فقد بين الخطيب أن سخط الله على عباده الذين عاثوا في الأرض فسادا يقابله رحمة ورضوان على الصالحين من عباده، ليثبت في ذهن المتلقي وجه التمايز بين الفريقين. وفي قوله: "تحولت مساجد التوحيد إلى كنائس للتثليث" يستعمل الإبراهيمي المقابلة لاستمالة السامع وإقناعه بحججه، حيث يعمل التّقابل على تضخيم فكرة أنه بسبب تفریطهم وتقصيرهم تحولت مساجد التّوحيد إلى كنائس للتثليث، وشتان ما بين التوحيد والتثليث، تلکم هي النتيجة التي يخلص إليها المستمع.

أراد الخطيب استمالة المتلقي منذ اللحظة الأولى بالاعتماد على التّقابل في عبارة "وما ظلم الأولين ولا حابي الآخرين"، وللتأثير أكثر في السامع استعمل التّقابل في عبارة "يتبعها قوم فيفلحون، ويعرض عنها قوم فيخسرون" مبينا أن سنة الله أحق أن تتبع، فإما ثواب لمن سلك الصراط المسقيم، وإما عقاب وخسران لمن أعرض. والحق أن تعد المقابلة وجه من وجوه البلاغة البرهانية البديعية التي تدعم طاقة القول الحجاجية، وتزيد في قدرته الإقناعية، ومن هنا تعد من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير.

2-4- الجناس:

هو من المحسنات البديعية اللفظية، و"هو تشابه اللفظين في التّطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التّسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، والجنس نوعان: "جناس تام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، وغير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة".¹

ويزيد الجناس الحجاج طلاوة في كونه حلية لفظية تكسب الكلام جرسا إيقاعيا. فالجناس يجعل المتلقي أمام لفظة مكررة، لكن كل لفظة تحمل معنى تكسبه لذة وإيقاعا، مما يجعل المتلقي يرتاح للمعاني، فيتحقق بذلك هدف الحجاج فيثيره ويدعمه من جهة الوقع في النفس، وهذا للأثر الموسيقي الناتج عن ذلك.

ومنه تكمن فعالية الحجاج باستعمال الجناس في الجرس الموسيقي والإيقاع الذي يقيمه، فيكون بمثابة المؤثر المستميل لنفسية المتلقي، وقد ورد الجناس في خطبة الشيخ البشير الإبراهيمي في قوله: "نستنزل من رحمات الله الصّبيّة، وصلواته الزاكية الطّيبة لشهدائنا الأبرار..."²

فالجناس بين لفظة "الصّبيّة" و"الطّيبة" تجانس إحداهما الأخرى وتشاكل اللفظتان واختلافهما في المعنى. وهذا المثال جناس ناقص أو جناس غير تام لاختلاف نوع الحروف. فجاء الكلام على هذا الإيقاع الموسيقي ما يؤثر في نفسية المتلقي، وقوله: "ممن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتّحيف لأموالهم".¹

¹ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م. س. ص. 249.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م. س. ج. 5. ص. 306.

الجناس في قوله: "التعذيب" و"التخريب" وهنا اختلاف في نوع الحرف، وهو جناس غير تام، وأعطى هذا الجناس قوة للحجاج من خلال الإيقاع الموسيقي. وقوله: "ونحبي بالعمار والثمار، والغيث المدرار، هذه القطعة الغالية من أرض السلام التي نسميها الجزائر، التي فيها نبتنا، وعلى حبها ثبتنا، ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أودينا".² بنيت هذه الفقرة على الجناس التاقص بين "العمار" و"الثمار" وبين "نبتنا" و"ثبتنا" وبين "غدينا" و"أودينا" حيث جاءت متتالية مما أعطت رنيناً موسيقياً جذاباً له أثر جمالي على أذن المستمع. مما حقق الاستمالة والإقناع.

إذا فالجناس من الأساليب الحجاجية نتيجة للموسيقى الناجمة عن استعماله، حيث تكون هذه الموسيقى مؤثرة بإيقاعها وجرسها على نفسية المتلقي، فللجناس دور حجاجي واضح لما يحدثه من تأثير وارتياح للمعنى المصاحب له.

3- حجاجية التكرار:

يعتبر أسلوب التكرار أو المعاودة من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، وكما يرى "العزاوي أن التكرار ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكن التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، لأنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميته".³

وترى "سامية الدريدي" أيضا أن أسلوب التكرار يمكن أن يكون بأنواع مختلفة، وظفت من طرف المخاطبين، حسب حاجة كل واحد منهما ليجعل الحضور يقتنع بانسجام خطابه، من بين هذه الأنواع نجد:

- تكرار اللفظ.
- تكرار الجملة.
- تكرار المعنى.

وأول هذه الأنواع "التكرار اللفظي القادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات محددة توفرت فيه شروط معينة".⁴ وقد أدى التكرار دورا مهما في خطبة البشير الإبراهيمي، فهو شكل من

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س ج5.ص.306.

² - م.ن. ص.ن.

³ - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، م.س. ص.48.

⁴ - ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، م.س.ص.168.

الأشكال الحجاجية التي لجأ إليها الخطيب لتساعده على التبليغ والإفهام، وتعيينه على ترسيخ الفكرة أو الرأي في الأذهان. وإذا نظرنا في خطبة "يوم صلاة الجمعة الأولى" في مسجد كتشاوة" نجد التكرار يشمل الأنواع المذكورة سابقا. ويكمن دور التكرار في إبراز حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير، ويلفت الانتباه إليها وإلى أهمية الموضوع المطروح؛ كما تتمثل قوة التكرار الحجاجية في كثرة الإثارة إلى الدقائق المتعلقة بذلك الموضوع تكثيفا لحدة الحضور التي نريد أن تثبت في ذهن المستمعين لخطبة الإبراهيمي.

3-1- تكرار اللفظ:

أما فيما يخص التكرار اللفظي فإننا نجد لفظة "الحمد لله"، فالموقف يملي على الخطيب مراعاة اللحظة التي يتوجه فيها إلى جمهوره، و البشير الإبراهيمي حين تملى الموقف جيدا، وجد أن الافتتاح بالحمد والصلاة على رسول الله، وهو حين يتعمد ترديد "الحمد لله"، لا يفعل ذلك على سبيل التأكيد اللفظي وحسب، وإنما الحمد الأول حمد الخطبة والحمد الثاني حمد تمام كلماته.

قوله أيضا: "يعلم المصلح من المفسد، ويعلم صدق يقينهم و"إخلاص نياهم"¹ تكرار لفظي في كلمة "يعلم" لتأكيد وترسيخ الفكرة.

وقوله: "جعل السيوف فرقانا... وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا، وبايعه عباده... على الموت"²

ونجد تكرار لفظي في لفظة "جعل" و لفظة "الحياة" و لفظة "الموت" حيث تكمن حجاجية التكرار في إعادة اللفظ، فهو بقدر ما يؤكد المعنى من خلال الملفوظ الثاني الذي يهز النفوس عوض الملفوظ الأول وحده الذي يظهر كتعبير عادي.

أما قوله: "في سبيل الله... لإعلاء كلمة الله... صلى الله... من رحمت الله، من الله اللطيف... نعوذ بالله... وأما والله". إذا نظرنا في لفظة "الله" التي جاءت في أكثر من موضع في الخطبة التي لها تأثير كبير في السامع وتنشئ نوعا من الحضور. فغاية "الإبراهيمي" من خلال تكرار لفظة "الله" تعد نقطة مركزية في الخطبة،

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5. ص.305.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س، ج.5.ص.305

جاءت هنا لتفيد ملكية الله لعباده، فكل ما يجري على الأرض بخيره و شره، لا يكون بمشيئة الله جلا و علا. وتقدير منه.

3-2- تكرار الجملة: لقد أشرنا إلى أن التكرار يساهم في تنامي الخطبة وانسجامها حجاجيا، فتكرار الجمل قد ساهم بشكل كبير وفعال في بناء الخطبة. والبشير الإبراهيمي قد استعمل تكرار الجمل، و لنرصد ذلك من خلال الأمثلة التالية في قوله: "وأن كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرها منه... فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله"¹

تكرار جملة "لا إله إلا الله" فهو بقدر ما يؤكد المعنى تعد له هذه الوظيفة حجاجية من خلال الجملة الثانية، التي تلعب دورا فعالا وتبرز شدة حضور الفكرة التي يريد إيصالها الخطيب للمستمع بغية تحقيق التأثير. وقوله: "هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد، وعاد إليه التوحيد فالتقيتم جميعا على قدر"².

تكمن حجاجية التكرار في جملة "عاد إلى التوحيد" وتم تكرارها في الجملة الموالية معتمدا على قلب العبارة لتوليد معاني جديدة، بغية تأكيد الفكرة وإنشاء الحضور لدى السامع. فالتكرار وسيلة بلاغية لها بالغ الأهمية من أجل تقوية الحجج التي يكررها الخطيب كلما دعت الضرورة إلى ذلك. ووسيلة التكرار يقصد إليها المتكلم لتقوية قوة المنطوق، يقولون، الشيء" إذا تكرر تقرر"، والتكرار تعرفه الشفرتان: المنطوقة والمكتوبة كلتاهما، وإن كان تأثيره في بنية الشفرة المنطوقة التلقائية أقوى، علاوة على تكرار المنطوق بتركيبه، قد يتكرر بتغيير طفيف في هذا التركيب ، فللتكرار طابع إلحاحي للفكرة المطروحة يقررها في الذهن ويمنحها القوة المطلوبة.

3-3- تكرار المعنى:

يساعد التكرار أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردّد المحتج لفكرة حجّة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي.³

استعمل البشير الإبراهيمي في خطبته تكرار المعنى في مواضع مختلفة، نذكر منها في الأمثلة التالية:

¹ - م.ن.

² - م.ن: ص. 306.

³ - ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، م.س. ص. 168.

قال: " محمد عبدالله ورسوله شرع الجهاد في سبيل الله، وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق".¹

نلغي هاهنا تكرار المعنى نفسه؛ فإن الجهاد في سبيل الله هو نفسه القتال لإعلاء كلمة الله، لكن الإبراهيمي يقف موقف الإمام الخطيب مقلبا الفكرة على جميع أوجهها لتأكيد المعنى وحضور الفكرة وترسيخها في الأذهان.

وفي قوله: " أستمد من الله اللطف لبقايا الموت وآثار الفناء ممن ابتلوا في هذه الثورة بالتعذيب"²

يكرر الخطيب المعنى نفسه فبقايا الموت تحمل معنى آثار الفناء، وهو يريد أن يؤكد على ما خلفه الاستعمار من جلد ودمار وموت.

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ كيف أن التكرار لا يأتي إذن في الكلام إلا لغاية حجاجية، إذ إن ذلك التردد الذي يحدثه المرسل في خطابه يؤكد حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول تلك الفكرة والاقناع بها. وهو ما يظهر عند "البشير الإبراهيمي"، إذ طغى التكرار في خطابه، ليشير بذلك انتباه المخاطب ويرسخ الفكرة في الأذهان.

4- التفريع: التفريع أو ما يسمى كذلك تقسيم الكل إلى أجزاء، وهو: "ذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر، ثم يعود إلى تعداد أجزائها، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه".³ معناه أن المرسل يقوم بطرح قضيته أو عرض أطروحته، ثم يتوسع فيها بعرض مجموعة من الحجج، و كل حجة من هذه الحجج تخدم هذه القضية أو الأطروحة.

كثيرا ما يعرض الإبراهيمي في خطبته فكرة أو أطروحة، ثم يجزئها إلى أجزاء، حتى يقنع المرسل إليه، لأن كل جزء بمثابة حجة، وسوف نعرض بعض الأمثلة: قوله: "يا معشر المؤمنين: إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصّبيان ساعة

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5 ص.305.

² - م.ن.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، م.س. ص.494.

ثم تنقضي، ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدل عليها المسجد في الإسلام ووظائفه التي كان يؤديها من إقامة شعائر الصلوات والجمع والتلاوة ودروس العلم النافعة على اختلاف أنواعها، من دينية وديوية فإن المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة¹. فهذه القضية التي طرحها المتكلم جزءها إلى عدة أجزاء، فكل جزء من هذه الأجزاء يدعم هذه القضية، بمعنى آخر يمكن أن نعتبر القضية المطروحة بمثابة النتيجة، وكل جزء هو بمثابة النتيجة، وكل جزء هو بمثابة حجة تخدم هذه النتيجة. فهذه الحجج بمجملها تخدم نتيجة من قبيل: استرجاع المسجد ودعمها بحجج، يمكن أن نتمثلها على النحو التالي:

النتيجة أو القضية

إنكم لم تسترجعوا في هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه

ح 1	ح 2	ح 3
ولا فرحتم	لكنكم استرجعتم معانيه	وظائفه التي كان
باسترجاعه فرحة	التي كان يدل عليها	يؤديها من إقامة شعائر
الصبي	المسجد في الإسلام.	الصلوات
		والجمع
		والتلاوة.

وسنورد مثالا آخر وذلك من عرض "البشير" لأطروحاته "الاستعمار كالثييطان" في خطبته قال: "يا معشر الجزائريين: إن الاستعمار كالثييطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن الثييطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك"، فهو قد

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، م.س. ج.5. ص.305.

خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها".¹

فقد عرض "البشير" هذه الأطروحة التي تقرأ أن: "الاستعمار كالشيطان"، وتوسع الخطيب بتدعيمها بعرضه مجموعة من الحجج من قبيل: الحديث النبوي الشريف: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك"، وكذلك فهو قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم... ويمكن أن نمثل لها على النحو التالي:

النتيجة أو الأطروحة

إن الاستعمار كالشيطان

ح 1	ح 2	ح 3	ح 4	ح 5
إن الشيطان	ولكنه رضي	ولم يخرج	فلا تعاملوه	وما أبيع
قد يئس أن	أن يطاع فيما	من قلوب	إلا فيما	للضرورة
يعبد في	دون ذلك.	بعضكم.	اضطررتم	يقدر
أرضكم هذه.		من أرضكم.	إليه.	بقدرها.

مثال آخر عن التفريع في قوله:

"يا إخواني: إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، وإنكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي، وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما و لا حديثا، و حزتم من إعجاب

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، م.س ج5.ص. 307.

العالم بكم ما لم يجزه شعب نائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة".¹

حيث ذكر الخطيب المعنى مجملا، وهو انتهاء الثورة، و بعد ذلك فصل الحديث في نوع التضحيات التي بذلها الشعب الجزائري، وإعطاء النتيجة وهي "الخروج من ثورة التهمت الأخضر واليابس"، وتدعيمها بحجج يمكن تمثيلها على الشكل التالي:

الأطروحة

إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس

ح 4	ح 3	ح 2	ح 1
فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.	فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان.	و حزم من إعجاب العالم بكم ما لم يجزه شعب نائر.	و قدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما و لا حديثا.
			إنكم اشتريتم حریتکم بالثمن الغالي.

التفريع عند البشير الإبراهيمي يقوم بطرح القضية (النتيجة) ثم يدعمها بحجج لتدل بمجموعها على معنى القضية، فلو حذف حجة من هذه الحجج ربما تضعف قوة الخطبة، لأنه بكثرة الحجج يكون التدعيم أجلى والإقناع أوفى.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، م.س ج 5. ص. 308.

المبحث الثاني: الأدوات اللغوية:

"تسهم الأدوات اللغوية إسهاما فعالا في انسجام الخطاب وتماسكه، إذ هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب."¹ ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، و" كانت التسلسلات الخطابية محدودة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية."²

لقد إقترح "ديكرو" وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات "باعتباره بديلا للوصف التقليدي، حيث ميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية "les opérateurs"³ والعوامل الحجاجية "les Connecteurs".

ليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، وإنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والتتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق.⁴

مما سبق يمكن أن نقول إن العوامل والروابط الحجاجية مفاهيم أساسية في الحجاجيات اللسانية، أو قل إن النظرية الحجاجية في جوهرها تقوم على هذه العوامل والروابط، وهو ما يفرض علينا إفرادها بالبيان والتوضيح. وخطبة البشير الإبراهيمي تشتمل على الأدوات اللغوية التي سيتم التفصيل فيها.

1- الروابط الحجاجية ومعاييرها:

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقارنة لغوية تداولية، م. س. ص. 508.

² - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، م. س. ص. 27.

³ - م. ن: ص. 28.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: م. س. ص. 477.

"الرّوابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤثر في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللّغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللّغات الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: بل، لكنّ، إذن، حتى، لأنّ، إذن، إذ، لا سيما، الواو، الفاء، اللام، كي..."¹

يربط الرّابط الحجاجي بين "وحدتين دلالتين أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصّيغة الجديدة للنّظرية الحجاجية"².

و يمكن أن نميز بين أنماط عديدة من الرّوابط:

أ- الرّوابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكنّ، مع ذلك، لأنّ...) والرّوابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي...).

ب- الرّوابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكنّ، لا سيما...) والرّوابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج- روابط التّعارض الحجاجي (بل، لكنّ، مع ذلك...) وروابط التّساوق الحجاجي (حتى، لا سيما)³.

وقد تناول البشير الإبراهيمي هذه الظاهرة في خطبته "يوم صلاة الجمعة الأولى"، حيث عرض علينا مجموعة من الرّوابط من خلال تراكيبه، وقد وضعت هذه الرّوابط في مواضعها الصّحيحة فأدت معناها الصّحيح، وغايتها في إيصال الرّسالة إلى المتلقي. وسنحاول أن نُجتزئ بالبعض منها، وندرس استعمالها الحجاجية من خلال الأمثلة التالية:

الرّابط لكنّ:

الأطروحة	الرّوابط	الحجة
- و ما ظلم الأولين ولا حابي الآخريين.	لكنّها	- سنته في الكون وآياته في الآفاق.
- نرجع إلى مطالبات قولية هي كل ما نملك في	لكنّها	- نهب الأذهان وسجلت الاغتصاب.

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، م.س. ص.26.

² - م.ن: ص.330.

³ - ينظر: م.ن: ص.331.

<p>- العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغى دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.</p> <p>- استرجعتم معانيه التي كان يدل عليها المسجد في الإسلام.</p> <p>- رضي أن يطاع فيها بدون ذلك.</p> <p>- لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم.</p>	<p>لكنّ</p> <p>لكنّهم</p> <p>لكنّه</p> <p>لكنّه</p>	<p>ذلك الوقت.</p> <p>- وقد يبغى الإنسان على الإنسان، فلا يكون ذلك عجيباً لأنّ في الإنسان عرقاً نزاعاً إلى الحيوانية وشيطاناً نزاعاً بالظلم، وطبعاً من الجبلة الأولى ميلاً إلى الشرّ.</p> <p>- إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثمّ تنقضي.</p> <p>- إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه.</p> <p>- فهو قد خرج من أرضكم.</p>
---	---	---

"لكنّ" رابط يظهر القوة الحجاجية لأطروحة على أخرى، إذ يتموقع بين الحجّة وضد الحجّة، وعادة ما تكون الحجّة الثانية أقوى من الحجّة الأولى، وكل خطاب قال استعمل الاستدراك ب"لكنّ" يكون الحجّة الأولى صوب الدّعى التي يدعيها المرسل، وبالتالي فإنّها ستوجه القول بمجملة نحو النتيجة.

الرّابط الفاء:

الحجّة	الرّوابط	الأطروحة
- يعلم المصلح من المفسد.	ف	- جعل التصرّ يتنزل من عنده على من يشاء من عباده، حيث يتليهم.
- أخرج القوة من الضّعف.	ف	- أنتج من المتضادات أضدادها.
- باءوا بالصّفقة الراجعة.	ف	- وبايعه عباده المؤمنون الصّادقون على الموت.
- أحال مساجد التّوحيد بين أيديهم إلى مساجد للتّوحيد.	ف	- تجلّى على بعض عباده بالغضب والسّخط.

- يفلحون.	ف	- ولكنها سنته في الكون، وآياته في الآفاق يتبعها
- يخسرون.	ف	قوم.
- التقيتم جميعا على قدر.	ف	- يعرض عنها قوم.
- سيكون هذا اليوم أوضحها سمة	ف	- هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد وعاد إليه
وأطولها عزة وأثبتها تمجيذا.	ف	التوحيد.
- لا يكون ذلك غريبا.	ف	- إذا عُدَّت الأيام ذوات السّماء، والغرر
- لا يكون ذلك عجيبا.	ف	والشّيات في تاريخ الجزائر.
- إنّ المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد	ف	- قد ينبغي الوحش على الوحش.
والمدرسة والجامعة.	ف	- قد ينبغي الإنسان على الإنسان.
- قال: "ومن أظلم ممن منع مساجد الله	ف	- الّتي كان يؤديها من إقامة شعائر الصّلوات
أن يذكر فيها اسمه".	ف	والجمع والتلاوة ودروس العلم النّافعة على
- قال: "إنّما يعمر مساجد الله من آمن	ف	اختلاف أنواعها من دينية ودينيوية.
بالله واليوم الآخر، أقام الصلاة وآتى	ف	- إنّ الله ذم قوما.
الزكاة ولم يخش إلاّ الله، فعسى أولئك أن	ف	- ومدح قوما.
يكونوا من المهتدين".	ف	- تركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى
- اشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم	ف	والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة
مرارة اليتيم.	ف	العمل.
- إنهم أبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم.	ف	- وامسحوا على أجزائهم بيد العطف والحنان.
- احذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم	ف	

الفصل الثاني: استراتيجيات الحجاج في خطبة الاستقلال للبشير الإبراهيمي

الشيطان فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.	- حزم من إعجاب العالم بكم، ما لم يحزه شعب تأثر.
--	---

لحرف الفاء دلالات عديدة، تختلف باختلاف تموضعها في الكلام، لكنها هنا في هذه الأمثلة لا تكاد دلالتها - إلى جانب الربط بين النتيجة والحجة - تتجاوز إلى التعليل والتفسير، حيث تأتي مباشرة بعد الانتهاء من إلقاء النتيجة (الطرح) لتحيل إلى ما تفسره. وهو رابط حجج يلعب دورا في تقديم الحجج وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان. وقد أفادت الفاء الجمع والترتيب والتعقيب ووظيفتها هو الجمع بين قضيتين متباعدتين.

الرّابطة لأنّ:

الأطروحة	الرّوابط	الحجة
- قد يبغى الوحش على الوحش، فلا يكون ذلك غريبا.	لأنّ	- البغي مما ركب في غرائزه.
- وقد يبغى الإنسان على الإنسان، فلا يكون ذلك عجيبا.	لأنّ	- في الإنسان عرقا نزاعا إلى الحيوانية وشيطانا نزاعا بالظلم.

الرّابطة "لأنّ" له دلالة التعليل والتفسير، ويتموضع تماما بعد إلقاء النتيجة (الأطروحة)، ويرتبط مباشرة بالحجج بما أنّها في ذاتها تفسيرات ومبررات لسلامة الطرح وتحقيق الاتساق والانسجام في العرض.

الرّابطة الواو:

الأطروحة	الرّوابط	الحجة
1- الحمد لله ثمّ الحمد لله تعالت أسماؤه.	و	- تمت كلماته صدقا وعدلا.
2- جعل النصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبتليهم فيعلم المصلح من المفسد.	و	- يعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم، وصفاء وسرائرهم، وطهارة ضمائرهم.
3- الحق	و	-الباطل

الفصل الثاني: استراتيجيات الحجج في خطبة الاستقلال للبشير الإبراهيمي

4- جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل	و	- أنتج من المتضادات أصدادها
5- جعل الموت طريقا إلى الحياة	و	- ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا.
	و	

استعمل البشير الإبراهيمي حرف "الواو" كثيرا، وهو يستعمله كأداة للربط بين الأطروحة والحجة، وقد أفادت الواو الجمع والترتيب واستعملها الكاتب من أجل حسن صياغة الكلام أو الترابط بين الأفكار وإبراز رأي المرسل والتأثير على المرسل إليه، فنلاحظ كيف أن هذا الرّابط البسيط استطاعَ إذن أن يوصل إلى المتلقي المعنى الصّحيح لهذه الأطروحات والحجج.

الرّابط حتى:

الأطروحة	الرّوابط	الحجة
- أشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، شرع الجهاد في سبيل الله وقاتل لإعلاء كلمة الله.	حتى	- استقام دين الحق في نصابه.
- بذرت بذور الثّورة في النفوس.	حتى	- تكلمت البنادق.
- فاشملوهم بالرّعاية.	حتى	- ينسى اليتيم مرارة اليتيم، وتنسى الأيم حرارة الثّكل.

لـ "حتى" دور في ترتيب منزلة العناصر، إن دور هذا الرّابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله. حيث يربط بين حجتين أو أكثر، لهما نفس الوجهة الحجائية ويخدمان نتيجة واحدة، وقد تكون هذه النتيجة مذكورة أو متضمنة.

الرّابط بل:

الأطروحة	الرّوابط	الحجة
- هذا المسجد هو حصّة الإسلام من مغام	بل	- هو وديعة التّاريخ في ذمكم.

جهداكم.	بل	- هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد.
- أخذها الاستعمار استلابا وأخذتموها غالبا.		

هي من أدوات العطف التي يشيع استعمالها في الخطبة، تنفرد وظيفة "بل" للإضراب لما قبلها وإثبات الحكم لما بعدها، وتأتي كذلك لتأدية وظيفتي الاستئناف والاستدراك.

2- العوامل الحجاجية:

"رأينا سابقا الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين، في المقابل نجد أن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج...)، ولكنه يقوم بـمحصـر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لـقـول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: رتـمـا، تقرـيـبا، قليلا، كثيرا، ما... وجل أدوات القصر."¹

"لقد إهتم "ديكرو" بظاهرة العوامل الحجاجية، نظرا لما تحدثه من انسجام في الخطاب وقيادة للمستمع إلى الاتجاه الذي يريده المتكلم، وقد أدرج "ديكرو" مفهوم العامل لأول مرة في مقاله المعنون: Notes sur l'argumentation et l'acte d'argumenter المنشور سنة 1982.

فالعوامل الحجاجية عنده تتجسد فيما تمثله الأقوال ذاتها من أساليب، كأسلوب التفي والحصر اللذين يعبر عنهما بمكونات معينة."²

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس الأمثلة الموجودة في الخطبة، حيث لم يخل خطاب البشير الإبراهيمي من هذه العوامل الحجاجية، فوجودها ضروري لسلامة العملية الحجاجية من خلال الكشف عن وظائفها الحجاجية ومنها هذه النماذج من العوامل الحجاجية:

¹ - أبو بكر العراوي: اللغة والحجاج. ص. 28.

² - ينظر: حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه و مجالاته، م. س. ص. 64.

2-1-1- القصر: يعتبر القصر آلية حجاجية نظرا لأدواته التي توظف توظيفا حجاجية وتنوع أدوات القصر بتنوع الحجاج، والقصر: "تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص".¹ ويكون القصر بأدوات منها: "إنما، التّفي والاستثناء.

2-1-1- القصر بالتّفي والاستثناء: "لا... إلا"

فقد استعمل الشّيخ البشير الإبراهيمي القصر ومن أمثلة الواردة في الخطبة قوله: "فلا نملك إلى الحوقلة والاسترجاع".² فالكلام الذي ورد منفيًا بأداة النفي "لا" يمثل نتيجة مقدمة وهي: الحوقلة والذكر والاستغفار كانت بضاعة الجزائري الذي لم يستطع أن يخلص المساجد من المستعمر، وهذا ما يزيد في إثبات الكلام الذي ورد بعد "إلا". فعمل "إلا" الاستثناء وعمل "لا" التّفي، وهذا ما يجعل ما تشبته "إلا" أكثر إقناعًا وأقرب تصديقًا من ذهن المتلقي.

وفي قول آخر: "فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه"

يلاحظ من الناحية الحجاجية التأثير الذي يحدث بين الأداة "إلا" أداة استثناء تغير وظيفتها النّحوية عند دخول أداة التّفي "لا" على الجملة وتنقله إلى وظيفة أخرى هي الحصر، فتكون كلمة "تعاملوه" محصورة بجملة "فيما اضطررتم إليه".³

قدمت النتيجة أولا والمتمثلة في عدم معاملة الاستعمار، لتكون الحجة والدليل بعد "إلا" وهي في حالة الاضطرار والحاجة، وتكمن حجاجيته على المستوى الملفوظ، يصل بها المرسل إلى نتيجة مشتركة وهي التأثير في المتلقي واستدراجه لتغيير موقفه.

وفي قوله: "إنّ الثّورة قد تركت في جسم أمّكم ندوبا لا تندمل إلاّ بعد عشرات السنين".¹ النتيجة من هذا القول هو أنّ الثّورة تركت آثارا وجراحا، والنتيجة أن هذه الندوب تحتاج إلى أمد طويل لتختفي آثارها.

¹ - يوسف ابو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م.س.ص.112.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س.ج.5.ص.307.

³ - م. ن: ص.ن.

من خلال مضمون هذا المثال نستنتج أن القيمة الحجاجية التي يتيحها هذا العامل أنها تربط المقاصد والوجهة التي يريد أن يصل إليها المتكلم.

2-1-2-إثما:

ومن العوامل الحجاجية، العامل الحجاجي "إثما" يفيد القصر، لأن لها معنى "ما... إلا" وتأتي إثبات لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه.²

لم يُسهب البشير الإبراهيمي في استعماله، وذكره في قوله: "ومدح قوما فقال: "إثما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة".

وقد اقتبس هذه الآية من سورة التوبة، فقد نفت "إثما" الكلام الذي قبلها بأنه ما كان للمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ، وأثبتت الكلام الذي بعدها للمؤمنين الذين عمروا مساجد الله. وما يلاحظ على هذا العامل أن الحجج التي تأتي بعده تكون إثباتاً لما قبله. وهكذا، فالنجاعة الحجاجية لأسلوب الاستثناء هي بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، والتأثير وإقناع المستمع.

2-2- أدوات الشرط:

يقوم الشرط في العربية على أمرين، الشرط وجوابه. يعد أسلوب الشرط سمة جوهرية للنص الحجاجي، إذ يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ويقود الخصم إلى المشاركة في صوغ الجواب بدعم الأطروحة المقترحة بطريقة حتمية، وذلك أن أسلوب الشرط يقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، ما دام أن فعل الشرط يتنزل منزلة المسلم به.

¹- م. ن: ص. ن.

²- يوسف ابو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م. س. ص. 112.

لقد ورد أسلوب الشرط في خطبة البشير الإبراهيمي ومنه: قوله: "وأما والله لو أن الاستعمار الغاشم أعاده عفوا من غير تعب وقيته من إلى الحق من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تستمدونه من الروعة والجلال".¹

إنّ توظيف أداة الشرط "لو" لمقاصد حجائية لا تتم إلاّ بها، فيتم الانطلاق من مقدمات يقينية. هذه الصيغة اللغوية الشرطية تبدأ بالقسم (أما والله) وتنقسم إلى جملة الشرط و جملة جواب الشرط، وهي النتيجة أي

إن انتزاع الحرية بالقوة أسوغ من أن يهبها المستعمر للجزائر. فالحجية الثانية: "لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال" يلزم المرسل فيها متلقيه على مستوى الملفوظ بالخضوع إلى الشرط، فالمرسل يقصد استمالة المتلقي والتأثير فيه، وإقناعه بأنّ هذا اليوم عظيم جاء بفضل مشقة ونضال ونصب.

3- أسلوب التوكيد:

لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب لونا من ألوان الزينة، أو شكلا من أشكال الحشو الذي يرهق بما لا فائدة منه و لا جدوى، وإنما هو ركن من أركان البناء اللغوي والبياني الذي زخرت به النصوص العربية، يقول الزركشي في التوكيد: "إنما يؤتي به للحاجة لتبرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجا ألقى إليه الكلام خاليا من التأكيد، وان كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد، وإذا كان منكرا وجب تأكيده".² و التوكيد هو "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، و فائدته إزالة الشكوك وإمطة الشبهات عما أنت بصدده".³

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5.ص.307.

² - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح. أحمد علي. دار الحديث، د.م، ط.1، 2001 - 1422.ص.521.

³ - يحيى حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسباب البلاغة و علوم الحقائق الإعجاز. دار المقتطف، مصر، 1914 - 1332. ص.2.

وقد لجأ الخطيب إلى استعمال التوكيد لأنه يريد توكيد الحجج التي قدمها، وتثبيتها في ذهن السامع. على أن للتوكيد صورا أخرى لها مجال أوسع من إعادة اللفظ نفسه بتكراره، فهناك التوكيد بالقسم والتوكيد بالقصر والتوكيد اللفظي، وهناك أدوات التوكيد منها لام التوكيد، إن، قد...

لقد استعمل البشير الإبراهيمي التوكيد في حججه لإثبات أطروحاته، مستفيدا من أغلب أنواع التوكيد، وقد حفلت الخطبة بأنواع كثيرة من التأكيدات، نحاول أن نبينها من خلال الأمثلة التالية:

3_1- التوكيد اللفظي: يقول البشير الإبراهيمي: "الحمد لله ثم الحمد لله، تعالت أسماؤه وتمت كلماته صدقا وعدا".¹ فجملة الحمد لله الثانية توكيد لجملة ما قبلها في اللفظ والمعنى، فالميزة التي نلاحظها من خلال هذا الحديث هي جودة الاستهلال والبراعة فيه، إذ جعل التنبيه في مطلع الحديث حتى يلفت انتباه المتلقي، فالعناية

لمطلع النص لها تأثير بالانطباع الأولي للنفس؛ إذ يكون أقوى تأثيرا وأكثر فعالية، وبهذا تمكن الخطيب من إثارة الاستجابة المناسبة وإحداثها، وهنا تكمن حجاجة التوكيد.

ويقول أيضا: "أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغفور الرحيم".² توكيد في أقول قولي"، من خلال الفعل والمفعول المطلق، وهذا التوكيد تميز بإيقاعه إذا رأى دوره في رفع المعنويات وخاصة أنه جاء على شكل دعاء، مما أثار الانفعال المناسب للمتلقي وإحداث الاستجابة والتأثير.

3-2- التوكيد بالقسم:

في قوله: "و أما والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب".³

القسم يمين تؤكد الكلام، وقد استعمل الخطيب القسم ليحمل المتلقي على حججة فكرته وهي أن الحرية تؤخذ غالبا ولا تعطى. مما يؤكد المعنى في ذهن المتلقي.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5. ص.305.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5. ص.308.

³ - م. ن: ص. 307.

3-3- التوكيد بـ "إن" و"أن":

في قوله: إئتكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه...¹ ففائدة ورود "إن" تأكيد مضمون الجملة، ونفي الشك مع حصول الغرض من التأكيد.

فالخطيب هنا يؤكد على قدسيّة المسجد وحفاوة استرجاعه من المستعمر. وقد تكرر التوكيد بـ "إن" في مواضع عديدة في الخطبة في قوله: "إن الله"، "إن الاستعمار"، "إن الثورة"، "إنكم خارجون من ثورة"، "إن حكومتكم الفتية".²

بثّ توكيد الجمل بحرف التوكيد "إن" ارتياحا في نفس المتلقي، بأنّ المسجد هو مسجد الأمة، وإنّ الاستعمار هو استعمار غاشم، وإنّ الثورة ثورة مجد شعب صامد... فكل هذه التأكيدات أدت إلى تثبيت معنى معين في نفس السامع.

3-4- التوكيد بـ "قد":

يقول البشير الإبراهيمي في خطبته: "قد يبغى الوحش على الوحش فلا يكون ذلك غريبا... وقد يبغى الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا".³

دخول "قد" على الفعل الماضي "يبغى" أفاد التوكيد، حيث أكدت معنى البغي والعدوان الذي هو أقرب وأدعى بالوحوش، لذلك وصل بنا الإبراهيمي إلى أن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان أعجب وأقرب من سلوك الحيوان، وفي قوله: "فهو قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم".⁴

فقد دخلت "قد" على الفعل الماضي "خرج" فأفادت التوكيد، من خلال التأكيد على فكرة خروج المستعمر، مما يحدث تأثير في المتلقي.

¹ - م. ن

² - م. ن: ص. 307 - 308.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م. س. ج. 5. ص. 307.

⁴ - م. ن.

من خلال هذه الأمثلة يتبين لنا أن التوكيد أحد الأساليب البلاغية الحجاجية، له دور بارز في التأثير والاستمالة تبيان صدق الحقائق المعروضة.

4- أفعال الكلام:

لقد أثارت نظرية أفعال الكلام مع "أوستين" انتباه الدارسين إلى وجود طبقة من الأفعال التي لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة اللغة باعتبارها الأداة الوحيدة التي تمكن المتكلم من إنجاز هذه الأفعال.

وقد كان منطلق الباحثين في نظرية أفعال الكلام، هو التمييز التقليدي بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، وقد سارت هذه المدرسة مسارا مختلفا عن مذهب المناطقة والوضعيين عموما، فاهتمام هؤلاء ينصرف أساسا إلى الجمل الخبرية، لأنها تتضمن قضايا قابلة لأن توصف بالصدق والكذب، بخلاف الجمل الإنشائية التي ينشئها المتكلم إنشاءً؛ ليعبر من خلالها عن أحواله وأغراضه وتمنياته... إلخ.¹

وعلى النقيض من ذلك أعلن "أوستين" منذ البداية عن أهمية الجمل الإنشائية باعتبارها أفعالا لغوية ينشئ من خلالها المتكلم وقائع جديدة، ولا تقف فقط عند حدود وصف الوقائع القائمة سلفا.

وبالتالي فإنها تستحق عناية أكبر، لفهم طبيعتها، وتنسيق القوانين التي تتحكم فيها، بل إن "أوستين" سينتقل في مرحلة لاحقة ليؤكد أن جميع الجمل في حقيقتها جما إنشائية، أي إنها أفعال كلامية ما دامت الجمل الخبرية ترتد بدورها إلى فعل لغوي مخصوص هو فعل الإخبار، الذي يعتبر فعلا كلاميا مثله مثل فعل الوعد والأمر والتهديد والسؤال... إلخ.²

إن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كل منهما بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب، وترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال. فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريرية، إن

¹ - الراضي رشيد: مقدمات عامة حول الأسس النظرية للحجاجيات اللسانية. مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد 34، سبتمبر 2005. ص. 216.

² - ينظر: أوستين: نظرية أفعال الكلام، تر. عبد القادر قينيبي. دار إفريقيا الشرق. الدار البيضاء، د.ط، 1991. ص. 85.

لم يكن كلّها؛ ليعبر عن وجهة نظره، وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمل هذا الفعل التقريري لمواصلة حججه من خلال التأكيد أو الادعاء ولتدعيم وجهة نظره.¹

وليست مهمتنا هنا رصد مختلف أفعال الكلام من خبر وإنشاء، لأنّ كلّ كلام قائم على هذا الأمر، وخاصة ذلك المتعلق بالرسالة الموجهة إلى مخاطبين معينين، من أجل إبلاغ معتقد، أو إبلاغ معرفة، أو تبليغ وجهات نظر.

لقد مكنا تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على خطب "الشيخ الإبراهيمي" من خلال القوة الإنجازية التي تمّ رصدها في مدونته من بلوغ مقاصد الخطيب، وملازمة واقعه مقارنة وتسديدا، وهو يحمل همّ أمته وفق فلسفة إصلاحية، فقد استطاع الإبراهيمي، وغزارة علمه وذروة تذوقه لأبعاد اللغة وجمالها، من فهم الفعل الكلامي الشمولي أو مجموعة من الأفعال الكلامية، التي ينبنى عليها العمل.

تراوحت خطبة "الشيخ البشير الإبراهيمي" بشكل كبير بين الإخباريات والتعبيريات والتوجيهيات والإنشائيات، لأنّها موجهة إلى جمهور معين في ظل أدب المقاومة والإصلاح الجامع بين قوة المعاني وجمال التعبير.

سوف نقوم بتحليل بعض التماذج من خطبة البشير الإبراهيمي التي تتوفر على مجموعة كثيرة من الأفعال اللغوية، ولكننا نقتصر على الأفعال الإخبارية والأفعال الإنشائية، ونرى كيف تعمل هذه الأفعال حججيا؟

4-1- الأفعال الإخبارية:

"الأفعال الخبرية هي المحتملة للتصديق أو التكذيب في ذاتها بغض النظر عن قائلها. فكلّ كلام يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب فهو خبر، فإذا كان الكلام صادقا لا يحتمل الكذب، وإن كان كاذبا لا يحتمل الصدق أو كان يحتملها فهو خبر."¹

¹ - عبد الهادي الظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، م.س.ص. 481-482.

يجد المتمعن في خطبة "صلاة الجمعة الأولى" للإمام الشيخ البشير الإبراهيمي أنها تحفل بمجموعة من الأفعال الإخبارية. يقول البشير الإبراهيمي: "سبحانه وتعالى جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل، وأنتج من المتضادات أصدادها، فأخرج القوة من الضعف، وولد الحرية من العبودية، وجعل الموت طريقا إلى الحياة... فباعوا بالصفقة الراجحة، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون وعدا عليه حقا."²

لقد جاء الإخبار في هذا القول يتضمن دليلا للإقناع ليحقق الغرض المقصود من الكلام، في شكل أساليب خبرية متتالية تتعاضد لتشكّل حججا تفضي إلى نتيجة، كيف أن السعادة لا يعبر إليها إلا عبر المشقة، وأن البدايات المحرقة نهايتها مشرقة ويجسدها الفعل الإنجازي "باعوا" بالصفقة الراجحة مع الله، فالشاري هو الله والبائع هو المؤمن والثمن هو الجنة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)³ وهي نتيجة منطقية.

فالأفعال الإخبارية جاءت موفقة إلى حد كبير في تبيان عذوبة التصر وعسر ولادته، وأن الحياة الكريمة لا تنقاد إلا لمن يركب الصعب ويصبر على الألم ووعثاء الطريق.

كما جاء في قوله: "سبحانه وتعالى جده، تجلى على بعض عباداه بالغضب والسخط فأحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلي برحمته ورضاه على آخرين فأحال فيهم كنائس للتثليث إلى مساجد التوحيد... ويعرض عنها قوم فيخسرون."⁴

وقد تخلل هذه الإخباريات أفعال توضيحية، تبين كيف يتجلى الله على أقوام بالغضب والسخط من خلال الفعل الكلامي "أحال" وعلى آخرين بالرحمة والرضا من خلال الفعل الكلامي "تجلى". لقد سلك بهذه الأساليب الخبرية مسلك التمعن في سنن الله - عز وجل - وكأته وجد الفرصة سانحة لإقناع المتلقي، باختياره

¹ - فاضل صالح السمرائي: الجملة العربية تأليفها واقسامها. دار الفكر، الأردن، ط.2، 1427هـ-2007م. ص. 118.

² - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج.5. ص.305.

³ - سورة التوبة: الآية - 111.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج.5. ص.305.

طريق الدعوة، فالإبراهيمي رجل إصلاح عالم بأدواء المجتمع الإسلامي، أوقف حياته على محاربة البدع وأوجه الفساد. وهذه الجمل الخيرية بمثابة الحجج التي حققت فائدة الوصول إلى التأثير والإقناع.

وفي قوله: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده".¹

هي إخباريات تحدث فيها الخطيب عن حالة تحول الأشياء لمن يراعي سنن الله في الكون والآفاق في إحداث التغيير، حيث ارتبطت النتيجة بأفعال إنجازيه كلامية، أي إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

فقوة أفعال الكلام الإخبارية - هنا - قد وجهت مسار الحجاج إلى الإقناع، بما تضمنته من إخباريات توضح طبيعة الاستعمار الفرنسي.

ويواصل الخطيب إخبارياته التي تتضمن طلبا في قوله: "ونستنزل من رحمت الله الصّبية، وصلواته الزاكية الطيبة لشهادتنا الأبرار... وعزة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن. وأستمد من الله اللطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء... والتخريب لديارهم والتّحيف لأموالهم".²

يستهل البشير الإبراهيمي رؤيته المستقبلية بوقفة على الحاضر من خلال مطلبين، طلب استتزال الرّحمات على الشّهداء، وطلب استمداد اللّطف والإعانة من الله نحو بقايا الموت وآثار الفناء.

وقد جاء الفعل الطّلي في صيغة المضارع، الذي يفيد الاستمرارية، وهي أفعال توجيهية فيها دعوة إلى تجاوز الماضي.

فمعاني الإخبار - هنا - خرجت إلى أغراض يقتضيها الكلام، وجسدت قوة أفعال الكلام، التي لا بدّ أن تسفر عن نتائج وآثار في نفسية المتلقي، وقد كانت هذه الأخبار منسجمة تماما مع سريان الأثر في نفسية المتلقي عند تلقي الخطاب.

¹ - م.ن.

² - م.ن: ص.306.

لقد شكلت الجملة الخبرية في هذه الخطبة بناء حججيا محكما يثبت الهدف وهو التأثير في المتلقي، فقرة أفعال الكلام الإخبارية قد وجهت مسار الحجاج إلى الإقناع بما تتضمنه من دلائل وإثباتات، وهو تحقيق العظة والاعتبار.

4-2- الأفعال الإنشائية:

الإنشاء " كل كلام لا يهتم الصدق والكذب، وهو على قسمين: الإنشاء الطلبي، وهو ما يستدعي مطلوباً، كالأمر والنهي والاستفهام، والإنشاء غير الطلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوباً كصيغ العقود وألفاظ القسم والرجاء ونحوها، وله أساليب أخرى غير منحصرة مما يفيد التعظيم والتنزيه وغيرها نحو حمداً لله، وشكراً لله، وسبحان الله..."¹

ويضطلع التركيب الإنشائي بدور هام في العملية الحجاجية، "إذ كثيراً ما تنبني الحجة في تركيب إنشائي، وكثيراً ما تعضد التراكيب الإنشائية حججاً، بما توفره من إثارة، وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر ويشحن بطاقة حجاجية مهمة، لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيراً ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي."²

وفيما يلي، سنحاول أن نبين الأفعال الإنشائية التي وظفها البشير الإبراهيمي في خطبته، وطاقتها الحجاجية المرتبطة بالأفعال الكلامية التأثيرية الرامية إلى إقناع المستمع.

4-2-1- الأمر:

¹ - فاضل السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، م.س.ص. 118-119.

² - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، م.س.ص. 114.

هو طلب حصول الفعل من المخاطب، وإذا "كان الأمر حقيقيا فإنه يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام، أما إذا تخلف كلاهما فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي، ويكون أمرا بلاغيا، وللأمر صيغ منها: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر".¹

يعدّ "الأمر" من الأفعال الإنجازية، ولكنه إنجاز ضمني؛ لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، وقد ورد "الأمر" في خطبة البشير الإبراهيمي ومنه:

"فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستنزلكم الشيطان"²، إذا تأملنا هذا المثال نجد الفعل اللغوي (احذروا...)، في شكل أمر أصدره الإبراهيمي بموجب سلطة الخطيب والإمام، فيحذروهم بأفعال القرارات، بأنّ ينتبهوا إلى ما يمكن أن يشوه محاسن هذا الجهد المبارك، بسوء التدبير والإهمال، أو يستجيبوا للنزوات ويستدرجهم الشيطان، فتكون النتيجة القضاء على سمعة هذه الثورة.

وإذا تمعنا في هذا المثال من الناحية الحجاجية، نجد أنه يحمل طاقة حجاجية بنبرة الأمر في صيغة فعل الأمر، والهدف منها يفضي إلى نتيجة ضمنية، هي إقناع المتلقي وتنبهه إلى خطر المستعمر.

وفي قوله: "إن حكومتكم الفتية منكم، تلقت تركة مثقلة بالتكاليف والتبعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوة، وانصحوا في ما يجب التصح فيه بالتي هي أحسن". يواصل الخطيب أسلوبه الطلبي من أجل تظافر الجهود والتعاون للخروج من مخلفات الثورة بسلام.

إن أفعال الأمر التي أصدرها الخطيب تكتسب بعدا حجاجيا إذا تضمنت حجة تتخللها نتيجة ضمنية، حيث إن تنفيذ الأمر هو النتيجة التي أرادها الخطيب من الشعب الجزائري للانصراف إلى الإصلاح والتجديد والإعمار، ويحذروهم من مداخل الشيطان والانتصار للدين والوطن.

إن الفعل اللغوي المتمثل في الأمر، فيه توجيه للمخاطبين إلى سلوك معين، لذلك أمر الخطيب أن تنضاف الجهود، فيحدث التغيير والفعل الإنجازي.

¹ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م.س. ص. 66.

² - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج. 5. ص. 308.

وأراد أن يوجه القول للسيطرة على ذهن المستمع. وهنا تكمن القوة الحجاجية لفعل الأمر.

4-2-2- النهي:

"هو طلب الكف عن الشيء، وله صيغة واحدة، هي المضارع المقرون بلا الناهية. والنهي نهيان: نهي حقيقي، وهو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام، ونهي بلاغي، وهو الذي يفتقد إلى شرطي الإعلاء والإلزام.

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى مجازية، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني: الدعاء، الالتماس، النصيح والإرشاد، التمني، التهديد، التحقير، التعجيز، التوبيخ... إلخ.¹ وهو كذلك من الأفعال الإنجازية التوجيهية، ويمكن أن تمثل له بما يلي:

"ولا تقطعوا أوقاتكم في السّفاسف والصّغائر، وانصرفوا بجمع قواكم إلى الإصلاح والتّجديد والبناء والتّشديد، ولا تجعلوا للشّيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه، ولا لحظوظ النّفس بينكم مدخلا".²

ففي هذا المثال نجد ثلاث أقوال إنجازية، جاءت على صيغة النهي، وهي: لا تقطعوا، ولا تجعلوا، ولا لحظوظ النّفس، وهي حجج جاءت على صيغة النهي، تحمل نتيجة ضمنية من قبيل: نبذ الفرقة وأسبابها، وإغلاق السبيل في وجه أهواء النّفس، ومداخل الشّيطان، والانتصار للدين والوطن.

فهذه الأفعال اللّغوية التي جاءت على صيغة النهي مثلت دعوة واضحة، وهي مجموعة من القيم والأخلاق التي أقرها الخطيب دستورا للتعايش إبان بواكير الاستقلال.

وقد استعمل هذا الأفعال للسيطرة على ذهن المتلقي والتأثير فيه، بتوجيه المخاطبين إلى فعل وسلوك معين، بنصحهم وإرشادهم وإقناعهم. إذا فالفعل الكلامي (النهي) هو بمنزلة الحجة التي تحقق النتيجة المرجوة، التي يريد الخطيب الوصول إليها، وهي: ترغيب الشعب في الصمود، وتنفيره من الكساد وسفاسف الأمور.

¹ - ينظر: يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م.س.ص. 144.

² - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج.5.ص. 308.

4-2-3- النداء:

"هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء، يجعل الفعل المضارع "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله، وقد يحذف حرف النداء إذا فهم من الكلام، و للنداء أدوات منها: الهمزة، الياء، وأي، أيا... إلخ.¹"

إنّ المتفحّص لتّص الخطبة، يقف عند التّداءات الّتي بثها الشّيخ البشير الإبراهيمي فيجد جانبا فنيا يتعلّق بهندسة الكلام، ومن ثمّ كانت التّداءات الّتي أطلقها "البشير" تخاطب كلّ واحد منهم بحسب الانتماء، رتبها وفق مقتضيات الأفكار الّتي يعالجها على النحو التالي:

- يا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -.

- يا معشر الجزائريين.

- أيّها المؤمنون.

- يا معشر المؤمنين.

- يا أيّها المسلمون.

- يا إخواني.

وهي أفعال توجيهية تؤثر على المتلقي، حيث نوع الخطيب في التّداءات، فكانت لها الوقع الفعال في أذن المستمع، فلفعل التّداء حضور قوي في الخطبة، عمل على استمالة المتلقي. ويعدّ توجيهها لأنّه يحفز المرسل إليه لردّ الفعل تجاه المرسل.

وعليه فدور معظم أفعال الكلام الخبري منها والإنشائي في الخطبة حجاجي يهدف إلى الإقناع، وهي في جوهرها تقنيات حجاجية توافرت عليها الخطبة بهدف التأثير في المستمع واستمالاته.

5- المقام:

حظي المقام باهتمام كبير في التّصور "البرلماني" باعتباره البؤرة الّتي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية، من مقدرات برهانية، وحقائق فعلية، وقرائن بلاغية، وقيم بشتی أقسامها، وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات

¹ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، م.س.ص.84.

والأشخاص المعنيين بخطاب ما. "وذلك بوصف هذه العناصر المذكورة أسسا حجاجية لا بد من طرحها بصيغ مختلفة في المقام، نظراً إلى أن المخاطبين يشتركون في الإقرار بأبرز معالمها، وإن ظل ذلك الإقرار متبايناً بحسب طبيعة الشئخص وتكوينه."¹

ارتبط الدرس البلاغي عند العرب قديماً بمقولة: "لكلّ مقام مقال"، بمعنى أن كل قول ينجر بحسب السياق الذي يرد فيه.

كما تحدّث البلاغيون العرب أيضاً عن المقام ومقتضى الحال؛ إذ يقول أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين": "واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من مقال، فإذا كنت متكلماً واحتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخطّ ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والتأليف والجوهر فإنّ ذلك هجئة."²

فالمقام إذاً يهتم بالمتلقّي لكوّنه العنصر الأساسي الذي يتوجّه إليه الخطيب للإثارة والاستمالة والتأثير وإقناع المتلقّي. فقد ربط المقام بطبيعة الحال، وتختلف الصيغة من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض آخر. وذلك لإقناع المتلقّي، لذلك قيل: "إن لكلّ مقام مقالا".

بناءً على قضية المقام في الدرس البلاغي، فإننا نجد له دوراً فعالاً في ممارسة الخطاب الإقناعي، كما أن أشكال الاستعمال اللغوي في مختلف العلاقات الاتصالية تتنوع وتختلف بحسب مقتضيات هذا الاتصال، فمقام المتكلم يختلف عن مقام السامع.

اختار البشير الإبراهيمي آليات مناسبة لمقام القول من أجل إيصال مقاصده عبر الخطاب، بدايةً من اللغة التي سخرها في الكتابة وأسلوب الطرح المعرفي لأفكاره. فهي لغة تساهم في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السياق في مجمله.

تحفل خطبة البشير الإبراهيمي بالمقام، فالخطيب حاول استحضار مقام معين، وهذا حسب ما يقتضيه الموقف حتى يصل إلى المقاصد والأهداف الحجاجية التي يريدها، ومن ذلك قوله: "الحمد لله تعالت أسماؤه وتمت كلماته صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته، جعل النّصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده، حيث

¹ - عبد الهادي الظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، م.س. ص 481 - 482.

² - أبو هلال العسكري: الصناعتين. تج. محمد البخاري، دار الفكر العربي، ط.2، دم، دت، ص. 108.

يتليهم فيعلم فيهم المصلح من المفسد، ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم، ومفاسد سرائرهم، وطهارة ضمائرهم".¹

الموقف يملي على الخطيب مراعاة اللحظة التي يتوجه فيها على جمهوره واعيا بتركيبته، مدركا مستوياته المعرفية، التي يجب أن يسير بمقتضاها الكلام حتى يضمن جملة من الأهداف تتراوح بين التأثير والتغيير، وكأن الخطيب حينما يستجيب للموقف، يهندس كلامه على نحو يتأكد من خلاله التبليغ الكامل للرسالة دون أن تجد اعتراضا كبيرا عند بعضهم.

نلمح في فاتحة الخطبة فهما جديدا للحراك التاريخي، يعطي للعقل البشري القدرة على دفع التحول والتغير، واستدامة الحال، شريطة أن يتمثل فيهم صدق يقينهم، وإخلاص نياتهم، وصفاء سرائرهم، وطهارة ضمائرهم.

وفي مقام آخر يتحدث البشير الإبراهيمي عن رؤيته المستقبلية بوقفه على الحاضر من خلال مطلب استنزال الرحمات على الشهداء، ومطلب استنزال اللطف والإعانة من الله لحو بقايا الموت وآثار الفناء، قائلا: "ونستنزل من رحمات الله الصيبة، وصلواته الزاكية الطيبة لشهادتنا الأبرار ما يكون كفاء لبطولتهم في الدفاع عن شرف الحياة وحرمات الدين، وعزة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن. وأستمد من الله اللطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء، ممن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحييف لأموالهم".²

بعدها فصل "البشير" في هذا المقام تفصيلا لما اقترف المستعمر من جرائم وما حملته الأجساد من شهادات التعذيب، وانقلب جو الخطبة إلى مقام جنائزي، ولكن البشير الإبراهيمي تخطى سريعا هذا المزلق ليجعل الماضي وراءه ويتجه بوجهه إلى مستقبل تبدت بشائره في الأفق.

وفي مقام آخر يقول: "أسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشمّل، ووحدة تبعث القوة، ورحمة تضمّد الجراح، وتعاوننا يثمر المنفعة، وإخلاصا يهون العسير، وتوفيقا ينير السبيل، وتسديدا يقوم الرأى ويثبت الأقدام، وحكمة مستمدة من تعاليم الإسلام، وروحانية الشرق وأجداد العرب، وعزيمة تقطع دابر

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج.5.ص.305.

² - م.ن: ص. 306.

الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض".¹ فالإبراهيمي ينطق من وعي كامل بأن التعاون والإخلاص يستجلب التوفيق والسداد والبعد عن مواطن العثار والزلل.

وفي مقام آخر في قوله: "ونعوذ بالله، ونبرأ من كلّ داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكلّ ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق، وكلّ ناعق ينقع بالفتنة والفساد".²

فإذا تدبرنا في مادة التّعوذ، رأينا كيف يشتغل عقل المصلح، حيث ينتقل من الخاص إلى العام، دون أن يسحب الخاص منه سحبا كلياً. في هذه الخطوة لا يقصد العامة من الناس وحدهم، إنّما القائمون بشؤون الأمة لأنّ فيهم الداعي والساعي والتّاعق، غير أن الذي ينقل هذه الخطوة إلى العام هو اشتراك الناس فيها.

ونحن ندرس البعد الدّيني في الخطبة، نجد جانباً يتعلق بمهندسة الكلام، ومعرفة طبقة الجمهور وتوزيعه في المسجد وخارجه، وكأنّ عين الخطيب تجول في أرجاء المكان، وكذلك فهم الخطيب "الإبراهيمي" للحراك التاريخي وحركة الزمن التي تعطي للفعل البشري القدرة على دفع التّحول والتّغيير، إنّهُ يدرك كل ذلك وبالتالي فهو على أهبة الاستعداد، لمواجهة تحديات زمانه، بالخطط الحكيمة، والأفكار الرّشيّدة، للتعامل المرن مع متغيرات العصر ومقتضياته.

ومن هنا، يمكن أن نعتبر أنّ المقام هو مقام وعظ ونصح ومواساة، محاولة من الخطيب أن يصل إلى ما أراه وهو الإقناع والتّأثير، فالخطيب صاحب سلطة على المتلقي، فلا يريد أن يعارض أحد رأيه، فقد أعطى لكلّ عنصر من عناصر المشهد (الخطبة) حظّه على النحو التالي:

- الاحتفاء باليوم: الجمعة.
- الاحتفاء بالمكان: مسجد كتشاوة.
- الاحتفاء بالجمهور: المواكب الحاشدة.

هذه العناصر تتداخل فيما بينها، لتتشكّل مشهداً يجسد حقيقة الاستقلال ويرى حقيقة الاستعمار. وفي الأخير نخلص إلى أنّ الخطيب في هذا المقام راعى كلّ متطلبات الكلام، وكلّ الظروف والأحوال، حتى يستطيع التّأثير في الجماهير الحاشدة.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: م.س. ج.5. ص. 306.

² - م.ن.

وهكذا، فالمقام يؤدي دورا حججيا فعالا، وذلك من خلال مراعاة مقتضى حال السامع، من أجل التأثير والاستمالة، وهذا ما يطمح إليه الخطيب.

6- التمثيل:

يعد التمثيل من الأساليب البيانية المستعملة لتقريب المعاني المجردة إلى ذهن السامع، وتوضيحها، وإزاحة ستار الإبهام عنها.

والتمثيل طريقة امتاز بها العرب الفصحاء في كلامهم، والسبب في ذلك تأثيره في النفوس.

تمثلت صور التمثيل في خطبة البشير الإبراهيمي من خلال الشاهد، حيث استعمل الشاهد من القرآن الكريم، ومن الحديث النبوي الشريف، ومن الشعر، وسوف نحاول أن نقدم الشاهد باعتباره من الحجج القوية والحجج الجاهزة التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحججية.

6-1- الشاهد:

"الشاهد عند "أرسطو" هو بمثابة القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء. أما في الخطابة العربية، تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم.¹ ولا يمكن لأي خطيب أن يستغني عن ظاهرة الاستشهاد، من أجل الدلالة على صحة أقواله وإقناع متلقيه، وذلك باستعمال حجج وبراهين مختلفة، سواء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر.

وهذا ما ذهب إليه "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، لما قال: "والملاحظ أن جميع هذه الشواهد والحجج الجاهزة كما يسميها "أرسطو" تنتسب إلى ترتيب معين بوصفها حججا جاهزة، وذلك حسب قوتها الحججية، فيكون ترتيبها أولا القرآن فالحديث الشريف وهكذا نزولا".²

لقد تم توظيف الشاهد متنوعا في خطبة البشير الإبراهيمي، كما أن الشيخ احترم سلم ترتيب هذه الحجج، وذلك انطلاقا من قوتها الحججية، حيث يستشهد أولا بالقرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، ثم الشعر.

6-1-1- الشاهد من الآيات القرآنية:

¹ - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، م.س. ص. 85.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقارنة لغوية تداولية، م.س. ص. 544.

قال: "أيها المسلمون، إن الله ذم قوما، فقال: "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه"، ومدح قوما فقال: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"¹ [التوبة:18].

في قوله هذا تعريض بمن سيحاول اعتراض رسالة المسجد، فيجعله محل ذم الله - عز وجل - فهذا الشاهد هو نداء خفي مدسوس في ثنايا التأكيد على الانتماء الإسلامي لكل واحد منهم. فالمتكلم استدلل بهذه الآية القرآنية من سورة التوبة لأنها أقوى حجة لإقناع المتلقي، فالمتلقي لا يستطيع أن يشك في كلام المولى عز وجل، لأن ما يقوله هو الصحيح وهو الحق، وهذا حتى يصل المتكلم إلى مبتغاه وإلى مراميه الحجاجية.

وهذا مثال آخر: استشهاده من قوله تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَيْمَعْنَنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا"² [النور:55].

يختتم البشير الإبراهيمي خطبته بالدعاء لهم وتأكيد الاستخلاف في الأرض، القائم على التوارث في حمل الرسالة. وقد استشهد بالآية القرآنية كحجة قوية تدعم طرحه، ليقنع ويفحم المستمع ولا يستطيع هذا الأخير أن يطعن رأيه، وزاد تدعيمه لهذا القوم بختمه بالاستغفار.

6-1-2- الشاهد من الأحاديث النبوية:

قال البشير الإبراهيمي: "إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا - صلى الله عليه وسلم -: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنّه رضي أن يطاع فيما دون ذلك"³.

ذكر البشير الإبراهيمي هذا الحديث الشريف بإشارة إلى حقيقة المستعمر ويسقطه على الواقع مبيّنا خطر الاحتلال. ولكن ما أراد أن يصل إليه الخطيب بتقديم هذه الحجّة القوية من الحديث النبوي، هو تأكيد الفكرة بأنّ المستعمر كالشيطان تماماً، يأتي الناس من خلفه ومن بين يديه مزيّن له اتباعه.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س. ج.5 ص.307

² - م.ن: ص. 308.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام م.س ج.5 ص.307.

الشاهد من الشعر:

يقول البشير الإبراهيمي في خطبته:

أحييك يا مغنى الكمال بواجب وأنفق في أوصافك الغر أوقاتي¹

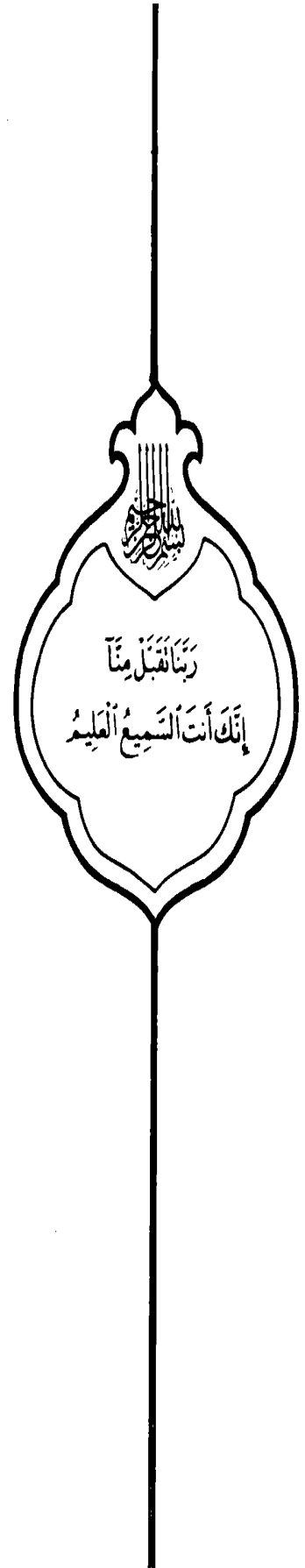
استشهد الخطيب بيت شعري للسان الدين بن الخطيب في غرناطة² ليدعم رأيه، واحتج أن هذه الأرض غالية، مبينا ما ركب في النفوس من حبّ للوطن.

نلاحظ كيف أن ما أعدّه الخطيب للقارئ، من استشهادات، وذلك باستعمال حجج وبراهين، سواء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو من الشعر، بحيث يتخذة مثالا يوصل من خلاله هدفه إلى المتلقي، الأمر الذي يوفر زيادة في الإقناع والاستمالة.

¹ - م. ن: ص. 308.

² - ينظر البيت بـ: المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت. ج6/503.

الختامة



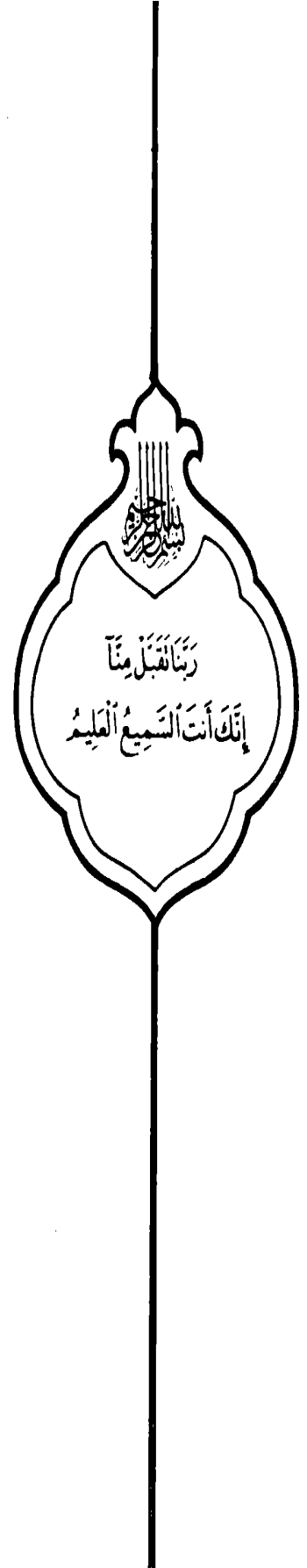
لقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوجزها في ما يلي:

- إن مصطلح الحجاج مفهوم عائم يتحرك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفية، وقد ارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتُبرت مرادفاتٍ له كالجدل والبرهان والمناظرة والاستدلال، وكلّ هذه المفاهيم تخدم غاية واحدة هي محاولة التأثير، ووصول المتكلم إلى هدفه التبليغيّ.
- لقد عدّ السّوفسطائيون الحجاج فنّ الكلام الذي يتوخّى الإقناع، باستخدام الحجج المضلّة التي ظاهرها الحقّ، وباطنها الباطل، وغايتهم الأساس هي استمالة المتلقي والتأثير فيه، وإقناعه بأيّ وسيلة.
- لقد نقل أفلاطون الحجاج من مجال الظنّ والاحتمال إلى مجال الحقيقة معتمداً في ذلك على منهج الجدل، أمّا أرسطو، فالحجاج عنده تابع للبرهان من جهة وللخطابة من جهة ثانية. ويرتبط بالخطابة باعتبارها الفضاء التّصي الذي يتجلّى فيه الحجاج، ويرتبط بالبرهان باعتباره المسار المنطقيّ الذي يؤسّس الحجاج.
- ارتبط الحجاج في التّراث العربيّ بالجدل وظهر مرادفاً له، وتجلّت مبادئ الحجاج في الدّرس البلاغي العربيّ؛ إذ اهتمّت البلاغة العربية باستراتيجية التأثير والإقناع، وتوفّرت على جانب تداوليّ مهمّ، مرتبط بنظرية الحجاج، وسبقٍ معرفيّ إلى بعض الإشارات التي تعدّ اليوم محور الدّرسين البلاغيّ واللسانيّ الغربيين؛ حيث تناولت أهمّ الوسائل اللغوية، وغير اللغوية المؤدية إلى الاستمالة والتأثير والإقناع.
- إن الحجاج عند تولمين هو حجاج منطقيّ، يستند على المنطق لتنظيم الحجج في الوظيفة التعليلية، ويحاكي في بنائه الممارسة القانونية كممارسة عقلانية ثابتة، وهذه الآلة لا تهتمّ بالتفاعلات الخطائيّة لأنّ غايتها بناء نموذج للمنطق العملي.
- أما بيرلمان وزميله تيتيكا، فقد حاولا في كتابهما إضفاء بُعدٍ عقليّ على الحجاج أو الخطابة الجديدة؛ إذ أخرجوا الخطابة من دائرة الاتّهام بالتلاعب بالجمهور، على نحو ما فهمها أرسطو وبعض تلامذته من العرب، إلى اعتبارها محاوراً يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضية تفاهم واحدة ومقدمات ومنطلقات واحدة في الحجاج مثل الوقائع والحقائق والقيم وكيفية ترتيبها ومثل المواضيع أو الأفكار العامّة المشتركة.
- أمّا نظرية الحجاج في اللّغة لديكرو، فالحجاج عنده قائم في جوهر اللّغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها، فكلّ قول مهما تكن الغاية منه، والدافع إليه هو قول حجاجي.

- سمح انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي الكبير على المشاريع، والنظريات، والمناهج الغربية بإغناء الدرس الحجاجي العربي المعاصر (الفلسفي البلاغي اللساني) بوعي علمي دقيق من خلال التعريف بأهم النظريات الغربية في هذا المجال، وتدشين مباحث جديدة عمقت وعي المهتمين بمبحث الحجاج، كما كشفوا عما يتضمّنه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية. ومن هؤلاء الباحثين: طه عبد الرحمن، محمد العمري، أبو بكر العزاوي وغيرهم.
- لقد تعددت الأساليب والآليات الحجاجية في خطبة البشير الإبراهيمي بين ما هو بلاغيّ بيانيّ (استعارة، تشبيه، كناية، مجاز)، وبين ما هو بديعي (طباق، جناس، سجع، مقابلة) هذه الأساليب هي التي تكسب النص درجة عالية من الإقناع والتأثير في المتلقّي.
- ويمكن التّظر إلى هذه الوسائل نظرة جمالية بالإضافة إلى التّظرة الحجاجية التي تؤدي الدور الأساس في مدونة الخطبة.
- أثناء تحليلنا لبعض النماذج من الخطبة - لا سيما البلاغية واللغوية - وجدنا الخطيب يركّز دائما على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج لتدعيم هذه النتيجة أو العكس، وقد تكون الحجج أو النتيجة ضمنية، فنقوم باستخلاصها من مقاصد المتكلم، ثم نوجهها وجهة حجاجية، وذلك انطلاقاً من المقاصد.
- اعتمد البشير الإبراهيمي على الخطاب الحجاجي البلاغي حتى يجعل خطابه مؤثرا ومقنعا.
- استعمل الخطيب أسلوب التكرار، فهو شكل من الأشكال الحجاجية، إذ إنّ ذلك التردد الذي يحدثه المرسل في خطابه يؤكد حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول تلك الفكرة والاقناع بها.
- يعد التفرغ أو تقسيم الحجج إلى أجزاء، من أهم الآليات الحجاجية البلاغية الواردة في خطبة البشير، حيث يقوم بطرح القضية (النتيجة) ثم يدعمها بحجج ليكون التدعيم أجلى والإقناع أوفى.
- تعددت الروابط والعوامل الحجاجية في الخطبة، وهذا نظراً لما تؤدّيه هذه الروابط والعوامل من دور فعّال في انسجام الخطاب الحجاجي من ناحية، وفي توجيه الخطاب وجهة قوية بالتأثير والإقناع في المتلقي من ناحية أخرى.

- من الأدوات اللغوية للحجاج الروابط الحجاجية؛ إذ تساهم إما في تساقط الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة، وإما في تعارض الحجج لكي تتحقق كلٌّ منها نتيجة معاكسة يراد الوصول إليها.
- تهدف العوامل الحجاجية إلى تقييد الإمكانيات الحجاجية وحصرها، وما ورد منها بأمثلة قليلة في الخطبة، إلا أنها ذات قيمة حجاجية مؤثرة في إقناع السامع.
- شكّل التوكيد ركنا أساسيا في البناء الحجاجي، إذ أدى دورا مهما في التعبير، وفي التأثير والاستمالة، وقد استعمل الإبراهيمي صيغة التوكيد، وذلك لتقرير المعنى في ذهن المتلقي، وإظهار طاقتها الحجاجية من خلال لغة التأكيد.
- إن دور أفعال الكلام الخبرية والإنشائية في الخطبة كان حجاجيا بالدرجة الأولى، يهدف إلى الإقناع، وهي (أفعال الكلام) في جوهرها تقنيات حجاجية، ومنه كلُّ فعل له مقصد حجاجي، وعمل حجاجي، وتأثير حجاجي، ووقع في نفس المتلقي.
- كما وظف البشير الإبراهيمي المقام كآلية حجاجية، فهو يسعى في كل مقام لتأثير في المتلقي مع مراعاة كل متطلبات الكلام، وكل الظروف والأحوال.
- استعمل الإبراهيمي الشاهد من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن الشعر، باعتباره من الحجج القوية التي يستعملها المتكلم، للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحجاجية.

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم برواية حفص.

- الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت. 1997.
- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- أرسطو: الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986.
- أوستن: نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قيني، دار إفريقيا الشرق. الدار البيضاء، د.ط، 1991.
- باطاهر، ابن عيسى: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2000.
- بورناد، سعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، دار الأمل، ط.2 تيزي وزو، 2004.
- بوقرورة، عمر أحمد: بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي - قراءة في ظل البنية والمتغير، دار الهدى، د ط، الجزائر، د ت.
- بومنجل، عبد الملك: النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، ط.1 الجزائر، 2009.
- التومي، محمد: الجدل في القرآن الكريم، فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
- الجرجاني، عبد القادر: دلائل الإعجاز. تحقيق عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية، بيروت ط.1، 2001.
- الحباشة، صابر: التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط.1، 2008.
- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، د.ط، 1983.
- حسن، محمد شمال: الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، دار الآفاق العربية. بيروت، ط.1. 2006.

- حشاني، عباس: خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي)، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 2013.
- الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط.1، 2008.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط.1، 1412هـ، 1992م.
- أبو زهرة، محمد: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- السامرائي، فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها. دار الفكر، الأردن، ط.2، 1427هـ - 2007.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2004م.
- صباغ، محمد علي زكي: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط.1، 1418هـ، 1998م.
- صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن الكريم، من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط.2، 2007م.
- طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار النشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2005م.
- الطلبة، محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2008م.
- عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2000م.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 1998م.
- عبد المجيد، جميل: البلاغة والاتصال، دار غريب، مصر، د.ط، 2000م.
- أبو العدوس، يوسف: مدخل إلى فن البلاغة العربية. دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2007.
- العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، المغرب، ط.1، 2007.
- اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط.1، 1426هـ، 2006م.
- العسكري، أبو هلال: الصناعتين. تحقيق محمد البخاري، دار الفكر العربي، ط.2، دم، دت.
- العمري، محمد: الخطابة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 1999.

- العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي. إفريقيا الشرق، بيروت، ط.2، 2002.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط.1، مج2، 1411هـ-1991م.
- الفرحي، بشير كاشة: محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء، وفارس البيان، دار الآفاق، د.ط. الجزائر، د.ت.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992.
- فضل، الله محمد حسنين: الحوار في القرآن (قواعده، أساليبه و معطياته)، دار المنصوري، الجزائر، د.ط، د.ت.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط.8، 1426هـ-2005م.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2، 1981م.
- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ط1، 1997.
- مندور، محمد: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط.5، 2006.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج2، 1410هـ-1990م.
- ابن وهب، أبو الحسن إسحاق: البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، د.ت.

المراجع الأجنبية:

- O. Ducrot, les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, 1980,
- Chaim Perlman et Lucie Colbachs – Tyteca, 1992, traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique, préface de Michael Meyer, 5eme édition, édition l'université de Bruxelles.

المجلات والدوريات:

- مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد102، 2006م، 1427هـ.
- مجلة الثقافة الجزائرية.العدد87، 1985.
- مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، العدد 1، 2007م.
- مجلة عالم الفكر، العدد1، 2001، الكويت.

- مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، العدد 99، السنة 2000.
- مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة 1961.
- مجلة المناظرة العدد 4 السنة 2 ماي 1991.
- مجلة الموافقات الجزائر العدد 4. 1995.

الرسائل الجامعية:

- بن خراف ابتسام: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية: 2009-2010.
- بوخشة خديجة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه بجامعة وهران للسنة الجامعية: 2013-2014.

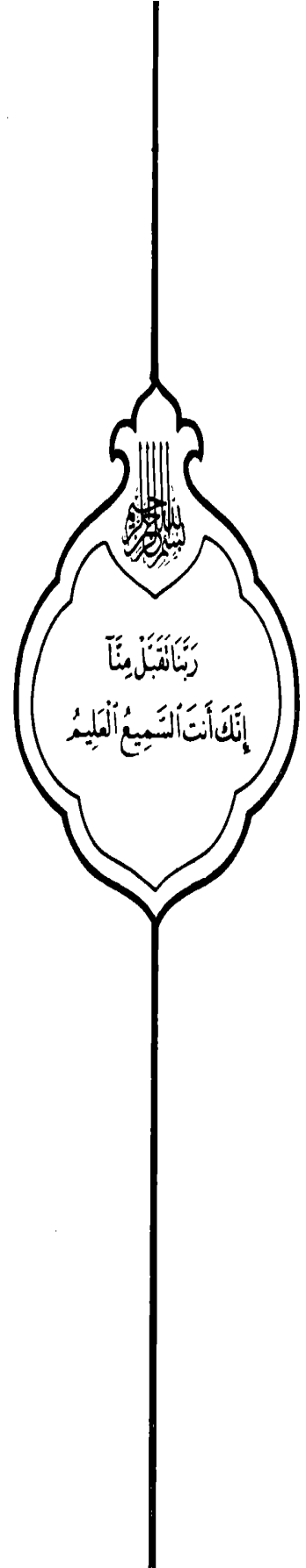
المواقع الإلكترونية:

- حسن المودن: تقديم كتاب : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، برنامج اتحاد كتاب المغرب.

<http://uemmet.free.fr/co h-m.htm>

- محمد العمري: المشروع العلمي بين المأمول و المتاح. www.medelomari.net
- محمد الهداج: طه عبد الرحمن والمهام العالقة، موقع الشهاب للإعلام.
<http://www.chihab.netmodules.php>

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	مقدمة
13_6	مدخل:
68_14	الفصل الأول: الحجاج مفهومه ومجالاته وأهم نظرياته
17_15	المبحث الأول: مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا
15	1 الدلالة اللغوية
17_15	2 الدلالة الاصطلاحية
23_17	المبحث الثاني: علاقة الحجاج بمجاله المفهومي
19_18	1 الحجاج والجدل
19	2 الحجاج بين الجدل والخطابة
20_19	3 الحجاج والحوار
22_20	4 الحجاج والبرهان
23_22	5 الحجاج والإقناع
34_23	المبحث الثالث: الحجاج في الفكر القديم
29_24	1 الحجاج في التراث اليوناني
34_29	2 الحجاج في التراث الثقافي العربي
68_34	المبحث الرابع: الحجاج في الفكر الحديث
56_34	1 الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة
68_56	2 الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة
114_69	الفصل الثاني: استراتيجيات الخطاب الحجاجي في خطبة الاستقلال
89_70	المبحث الأول: الآليات البلاغية للحجاج في خطبة البشير:
76_71	1 حجاجية الأساليب البيانية
73_71	الاستعارة:
75_73	التشبيه:
76_75	الكناية:
83_76	2 حجاجية البديع
78_77	الطباق:
80_78	السجع
81_80	المقابلة

فهرس الموضوعات

83_81	الجناس
86_83	3 حجاجية التكرار
84	تكرار اللفظ
85_84	تكرار الجملة
86_85	تكرار المعنى
89_86	4 التفریع
114_89	المبحث الثاني: الأدوات اللغوية
95_90	1 الروابط الحجاجية ومعاييرها
91_90	الرابط لكن
93_91	الفاء
93	لأن
94_93	الواو
94	حتى
95_94	بل
114_95	2 العوامل الحجاجية:
97_96	القصر
98_97	أدوات الشرط
100_98	أسلوب التوكید
108_100	3 أفعال الكلام:
104_102	الأفعال الإخباریة
108_104	الأفعال الإنشائیة
111_108	4 المقام
114_111	5 التمثیل
119_116	الخاتمة
124_121	قائمة المصادر والمراجع